
يسألونك عن الروح
للإمام فخر الدين الرازي
من تفسيره.. مفاتيح الغيب
دراسة وتحقيق
محمد عبد العزيز الهلاوي
مكتبة القرآن
29

اهداءات ٢٠٠٢
أ/حسين كامل السيد بك فهمى
الاسكندرية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يسألونك عن الروح

للإمام فخر الدين الرازي

من تفسيره .. مفاتيح الغيب

دراسة وتحقيق

محمد عبد العزيز الهلاوى

مكتبة القرآن

للطبع والنشر والتوزيع

٣ شارع القماش بالفرنساوى - بولاق

القاهرة - ت : ٧٦١٩٦٢ - ٧٦٨٥٩١

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لله وشكراً أن هدانا لهذا وماكنا لنهتدى لولا أن هداها الله .

وبعد ....

فقد طلع علينا بعض الماديين ذات يوم يقول :

إن « ملف » الروح قد أغلق !

وإن قضية الروح قد حُسمت !

ولا نملك إلا أن نقولِ له فى ردنا عليه ما قاله الإمام الأكبر فضيلة الشيخ محمود شلتوت فى فتاواه :

« وباب البحث عن حقيقتها مفتوح لم يمنع منه نص دينى » .

« وهى فى ذلك ككثير مما ينتفع بآثاره دون أن يعرف كنهه » .

لقد وضع « إمامنا الأكبر » النقط على الحروف فى مسألة الروح ، وهل يفتى ومالك بالمدينة ؟!

وفى بحث له يتساءل الإمام الأكبر عن الروح قائلاً :

« ماهى الروح ؟ وأين تكون قبل دخولها الجسد ؟ وأين تسكن بعد خروجها منه ؟ وهل تظل فى عالمنا هذا ؟ وماهى حقيقة تحضير الأرواح ؟ وهل هو صحيح ؟ » .

ثم يجيب قائلاً :

« الروح هى القوة التى تحدث الحياة فى الكائنات الحية من نبات وحيوان وإنسان . وقد غلبت على مابه حياة الحس والحركة ، والعقل والتفكير ، وأضيفت إلى الحيوان والإنسان » .

ولم يرد فى الدين نص واضح صريح يشرح حقيقتها ويحدد وجودها ، وكانت فى نظر الدين كغيرها من سائر الحقائق الكونية تركت للبحث البشرى يبحث عنها ، ويصيب أو يخطىء على حد سواء » .

ويتناول اختلاف الباحثين فى حقيقة الروح فيقول :

« ولقد خاض الإنسان قديماً وحديثاً ملياً وغير ملى فى البحث عن حقيقتها وأثرت عنه فيها أقوال وآراء . قال فيها الإمام الألوسى بعد أن ذكر جملة منها : (وقيل وقيل إلى نحو ألف قول) ثم قال : والمعول عليه عند المحققين قولان ، ذكرهما واختار أولهما ، وهو أن الروح جسم نورانى علوى حى ، مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس ، سار فيه سريان الماء فى الورد ، لا يقبل التحلل ولا التفرق ، يفيض على الجسم الحياة وتوابعها مادام الجسم صالحاً لقبول الفيض ، وقد أيده ابن القيم ، وقال: أنه الصواب ولا يصح غيره ، وعليه دل الكتاب والسُنة وإجماع الصحابة ، وأدلة العقل والفطرة ، وبرهن عليه بما يزيد عن مائة دليل » .

ونرى مع ذلك أن هذا الرأى لم يشرح حقيقة الروح ، وإنما ذكر خواص ولوازم ، أكثرها سلبى لا يفيد الحقيقة ولا يدل على الكنه .

ثم يحدثنا عن اختلافهم فى قدم الروح قبل اتصالها بالجسد فيقول :

« وكما اختلف العلماء فى حقيقتها هكذا ، اختلفوا أيضاً فى قدمها وحدوثها وفى مستقرها قبل اتصالها بالأجسام ، والقائلون بحدوثها اختلفوا أيضاً فى زمن حدوثها ، هل حدثت قبل الأجسام أو بعد

الأجسام ؟ وليس فى النصوص أكثر من أن نفخها فى الجسم يكون بعد تسويته ، والمفهوم من نفخها تحصيل آثارها فى الجسم » .

وعن مصير الروح بعد مفارقتها للجسد يحدثنا إمامنا فيقول :

« وكما اختلفوا فى هذا اختلفوا أيضاً فى موتها وبقائها ، وفى مستقرها بعد مفارقة الأبدان » .

والذى ترشدنا إليه الآثار الدينية أنها تخرج من بدن الإنسان فيكون الموت ، وأنها تبقى ذات إدراك ، تسمع السلام عليها ، وتعرف من يزور قبر صاحبها ، وتدرك لذة النعيم وألم الجحيم ، وأن مقرها يختلف بعد مفارقة البدن بتفاوت درجاتها عند الله » .

ويرد على أولئك الذين يغلقون ملف الروح فى وجه الباحثين قائلاً :

لا مانع من البحث عن حقيقتها :

« وعلى رغم كل هذا فلا تزال حقيقتها من الغيب الذى لم يكشفه الله للإنسان وهى فى ذلك ككثير مما ينتفع الإنسان بآثاره دون أن يعرف كنهه .

وباب البحث عن حقيقتها مفتوح لم يمنع منه نص دينى .

ولا حجة للقائلين بحرمة البحث عنها فى قوله تعالى : **﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾**[1] فقد رجح

---

(١) الآية ٨٥ من سورة الإسراء .

بعض العلماء أن المراد منها فى الآية القرآن نفسه ، وقد سماه الله روحاً ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا ﴾[1] وسابق الآية ولاحقها يرشد إلى صحة هذا الرأى .

وإذن فلا يتعين أن يكون المسئول عنه هو روح الحياة ، على أنه لو كان هو روح الحياة فليس فى الآية أكثر من أنها من أمر الله ، وهو لا يمنع البحث عن حقيقتها » .

وماذا عن تحضير الأرواح ؟

« وكما لم يرد نص فى شئ من ذلك كله ، لم يرد شئ فيما يختص بتحضيرها وتسخيرها لدعوة الإنسان ، كما لم يدل عليه حس موثوق به أو تجربة صادقة ؛ وكل ما نسمعه فى ذلك لا يخرج عن مظاهر خداع وإلهاء بالخيالات لا يلبث أن ينكشف أمره .

وإذن فنحن فى حِل من رفضه إلى أن يقوم الدليل على صدقه .

وحسب المؤمن فى إيمانه أن يقف عندما أخبر الله به ، وصح عن رسوله ، وليس عليه أن يحمل نفسه عقيدة أو رأياً لا يتوقف عليه صحة الإيمان » .

ومن حق القارئ المسلم علينا أن نضع بين يديه بحثين جليلين عن حقيقة الروح : أحدهما للإمام فخر الدين الرازى من كتابه « **مفاتيح الغيب** » .

أما الآخر فللإمام الآلوسى صاحب « **روح المعانى فى تفسير القرآن الكريم والسبع المثانى** » .

---

(١) الآية ٥٢ من سورة الشورى .

وإذا كنا قد قدمنا للبحثين بما قاله الإمام الأكبر محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر فإننا قد وقفنا وقفة متأنية مع الكاتب الكبير عباس محمود العقاد مستعينين بما جاء فى كتابه « **الفلسفة القرآنية** » .

لقد ألقى إمامنا الشيخ محمود شلتوت الضوء على ما قاله الإمام الآلوسى ، وألقى أستاذنا العقاد الضوء على ما قاله فخر الدين الرازى .

وبهذا نكون قد وضعنا بين يدى المسلم ما يحمى عقيدته وفكره من دعاة المادية ، ودعّمناه بما يفحم به أولئك الذين يهرفون بما لا يعرفون ويفترون على الله الكذب وهم يعلمون .

وليس مثلنا معهم إلا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صُم بُكم عمى فهم لا يعقلون .

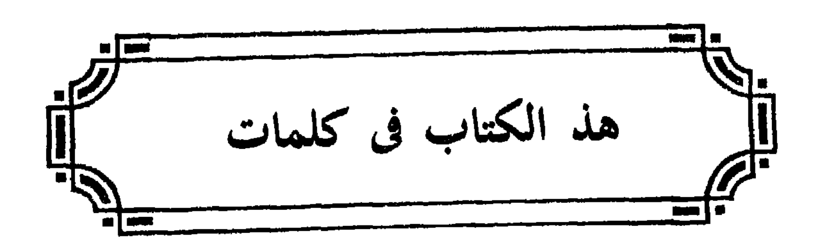
أما أنتم ـــ إخوة الإسلام ـــ فللروح عندكم حقها وللجسد حقه .. فتعالوا نبحث عن روحنا .. وسوف يقول كل منا : لقد كانت روحى بعيدة عنى فأصبحت اليوم قريبة منى .

القاهرة فى : شعبان سنة ١٤٠٨ هـ
أبريل سنة ١٩٨٨ م

محمد عبد العزيز الهلاوى







يضم هذا الكتاب بحثين حول الروح :

أحدهما : للإمام فخر الدين الرازى من تفسيره الكبير **« مفاتيح الغيب »** .

والثانى : للإمام الآلوسى من تفسيره الكبير **« روح المعانى »** .

وكلاهما تفسير للآية الكريمة :

﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى ﴾

وإذا كان الآلوسى خاتمة المحققين ، وعمدة المدققين وإمام المفسرين ومفتى بغداد وعالمها فى القرن الثالث عشر الهجرى . فإن ذلك لم يمنعنا من وقفة مع شاهدين على عصرنا كان لهما وجودهما عند المسلمين جمعياً هما : الإمام الشيخ محمود شلتوت ، والكاتب الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد .



تفسير مفاتيح الغيب
للإمام فخر الدين الرازى
ومنزلته العلمية

يقول الأستاذ محمد أبوشهبة عميد كلية أصول الدين فى كتابه : « **الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير** » مايأتى عن مفاتيح الغيب ومؤلفه ومنزلة كتابه العلمية :

ومؤلفه هو الإمام ، النظار ، المتكلم فخر الدين : محمد ابن العلامة ضياء الدين : عمر الرازى[1] ، المشتهر بخطيب الرى ، وهو عربى ، قرشي من سلالة سيدنا أبى بكر الصديق — رضى الله عنه — ، وكان مولده سنة ٥٨٣ هـ ثلاث وثمانين وخمسمائة فى مدينة الرى ، وكانت حينئذ العاصمة الكبرى لبلاد العراق العجمى ، وقد بادت الآن ، وتوجد خرائبها ، وآثارها على مقربة من مدينة : « طهران » عاصمة إيران .

وقد تنقل الإمام فخر الدين فى البلاد الأعجمية ، من الرى إلى خراسان ، وبخارى إلى العراق ، والشام ، وكان أكثر استقراره وتدريسه « بخوارزم »[2] ، ثم استوطن مدينة : « هراه » : من البلاد الأفغانية ، وكانت وفاته بها سنة ٦٠٦ هـ ست وستمائة[3] .

وقد كان الإمام من كبار أهل العلم بالأصلين : أصول الدين ،

---

(١) الرازى نسبة إلى الرى على غير قياس .

(٢) مدينة شرق بحيرة قزوين .

(٣) التفسير ورجاله ص ٦٨ ، ٦٩ .

وأصول الفقه ، وكبار علماء الكلام على مذهب أهل السنة . فمن ثم : ناقش ــ أكثر ــ أهل الاعتزال وغيرهم ، وكذلك : كان عالماً بالفلسفة ، ومذاهب الفلاسفة ، فمن ثم : سلك مسلك الحكماء الإلٓهيين، فصاغ أدلته فى مباحث الإلٓـهيات ، على نمط استدلالاتهم العقلية ، ولكن مع تهذيبها ، بما يوافق أصول أهل السنة ، وتعرض لآراء الفلاسفة ، فى قدم العالم ، وذكر وشبههم ، وتفنيدها ، ونقضها فى مواضع من كتابه .

وكذلك : سلك مسلك الحكماء الطبيعيين فى الكونيات ، فتكلم فى خلق السماوات ، والأرض ، وما فيها من إنسان ، وحيوان ، ونبات ، مبيناً حكمة الله فى مخلوقاته ، مستدلاً بها على وجود الله ، وعلمه ، وقدرته وإرادته وسائر صفاته .

وقد قصد الإمام الرازى من دراسته التفسيرية : أن يبين تفوق الحكمة القرآنية على سائر الطرق الفلسفية ، وانفراد القرآن بهداية العقول البشرية ، إلى غايات الحكمة ، من طريق العصمة ، فقد كتب فى وصيته التى أملاها عند احتضاره :

« لقد اختبرت الطرق الكلامية ، والمناهج الفلسفية ، فما رأيت فيها فائدة تساوى الفائدة التى وجدتها فى القرآن : لأنه يسعى فى تسليم العظمة والجلال لله ، ويمنع عن التعمق فى إيراد المعارضات والمناقضات وما ذاك إلا للعلم بأن العقول البشرية تتلاشى فى تلك الحقائق العميقة والمناهج الخفية » .

قيمة تفسيره العلمية

إن تفسير: « مفاتيح الغيب » من أجلّ التفاسير، وإن كان أطال في الاستدلال ورد الشبه إطالة كادت تغطى على كونه كتاب تفسير.
ولست مع ابن عطية الذى قال فيه : « فيه كل شيء إلا التفسير » ، فإنه — رحمه الله — مع الاستطراد إلى ذكر الأدلة والبراهين ، قد وفى التفسير حقه ، ولولا أن هذا ليس من غرضى فى هذا الكتاب ، لأقمت

على هذا ألف دليل ، ومن مميزات هذا التفسير الجليل : أنه يكاد يخلو من الإسرائيليات ، وإذا ذكر شيئاً فذلك لأجل أن يبطله ، وذلك كما صنع فى قصة هاروت ، وماروت ، وقصص داود ، وسليمان ، وغيرهما ، كما تعرض بالتزييف لبعض المرويات التى تخل بعصمة النبى — ﷺ — وأبطلها ، كما صنع فى قصة الغرانيق .

نعم قد ذكر بعض المرويات التى تعتبر من الإسرائيليات ، وذلك مثل ما روى فى : « ن » ، وأنه الحوت الذى على ظهره الأرض ، وإن كان ضعفه فيما ضعف من أقوال فى هذه الآية ، ولكن لم يعوّل فى التضعيف على مخالفتها للعقل ، أو ضعفها ، من جهة النقل ، أو كونها من الإسرائيليات ، وإنما اعتمد على وجه آخر يرجع إلى النحو[1] .

---

(١) انظر تفسير الفخر فى قوله تعالى : ﴿ ن والقلم وما يسطرون ﴾ .



مع الإمـام فخـر الديـن الـرازى
فى تفسـيره الكبـير مفاتيـح الغـيب
﴿ ويسألونك عن الروح ﴾

﴿ ويسألونك عن الروح قل الروحُ من أمر ربى ، وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ (الإسراء : آية ٨٥) .

يقول الإمام فخر الدين الرازى :

فى هذه الآية مسائل :

المسألة الأولى : أقوال المفسرين فيها :

للمفسرين فى الروح المذكور فى هذه الآية أقوال ، أظهرها أن المراد منه الروح الذى هو سبب الحياة ..

رُوى أن اليهود قالوا لقريش : اسألوا محمداً عن ثلاث ، فإن أخبركم باثنتين وأمسك عن الثالثة فهو نبى : اسألوه عن أصحاب الكهف ، وعن ذى القرنين ، وعن الروح .. فسألوا رسول الله ﷺ عن هذه الثلاثة ، فقال ﷺ :

« **غداً أخبركم** » .. ولم يقل : إن شاء الله .. فانقطع عنه الوحى أربعين يوماً ، ثم نزل الوحى بعده :

﴿ ولا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غداً ، إلا أن يشاء الله ﴾[1] .. ثم فسَّر لهم قصة أصحاب الكهف وقصة ذى القرنين وأبْهم قصة الروح ، ونزل فيه قوله تعالى : **﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى ﴾** وبيَّن أن عقول الخلق قاصرة عن معرفة حقيقة الروح ، فقال : **﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾** .

---

(١) الكهف : آية ٢٣ ــ ٢٤ .

الطعن فى هذه الرواية :

ومن الناس من طعن فى هذه الرواية من وجوه :

* **أوَّلها** : أن الروح ليس أعظم شأناً ولا أعلى مكاناً من الله تعالى ، فإذا كانت معرفة الله تعالى ممكنة ، بل حاصلة ، فأى مانع يمنع من معرفة الروح ؟! .

* **ثانيها** : أن اليهود قالوا : إن أجاب عن قصة أصحاب الكهف وقصة ذى القرنين ولم يُجب عن الروح فهو نبى .. وهذا كلام بعيد عن العقل ؛ لأن قصة أصحاب الكهف وقصة ذى القرنين ليستا إلا حكاية من الحكايات ، وذكر الحكاية يمتنع أن يكون دليلاً على النبوَّة .

وأيضاً فالحكاية التى يذكرها إما أن تعتبر قبل العلم بنبوَّته أو بعد العلم بنبوَّته ، فإن كان قبل العلم بنبوَّته كذبوه فيها ، وإن كان بعد العلم بنبوَّته فحينئذ صارت نبوَّته معلومة قبل ذلك فلا فائدة فى ذكر هذه الحكاية .

وأما عدم الجواب عن حقيقة الروح فهذا يبعذ جعله دليلاً على صحة النبوة .

* **ثالثها** : أن مسألة الروح يعرفها أصاغر الفلاسفة وأراذل المتكلمين ، فلو قال الرسول ﷺ . إنى لا أعرفها ، لأورث ذلك ما يوجب التحقير والتنفير ؛ فإن الجهل بمثل هذه المسألة يفيد تحقير أى إنسان كان ، فكيف الرسول الذى هو أعلم العلماء وأفضل الفضلاء ؟!!

* **رابعها** : أنه تعالى قال فى حقِّه : ﴿ **الرحمن علَّم القرآن** ﴾[1] ،

(١) الرحمن : آية ١ .

﴿ **وعلّمك مالم تكن تعلم ، وكان فضل الله عليك عظيماً** ﴾[1] .. وقال : ﴿ **وقل ربِّ زدنى علماً** ﴾[2] .. وقال فى صفة القرآن : ﴿ **ولا رطبٍ ولا يابسٍ إلا فى كتاب مبين** ﴾[3] .. وكان ﷺ . يقول : « **أرنا الأشياء كما هى** » .. فمن كان هذا حاله وصفته كيف يليق به أن يقول : أنا لا أعرف هذه المسألة مع أنها من المسائل المشهورة المذكورة بين جمهور الخلق ؟!!

المختـــار عنـــدنا :

بل المختار عندنا أنهم سألوه عن الروح ، وأنه ﷺ أجاب عنه على أحسن الوجوه .

وتقريره أن المذكور فى الآية أنهم سألوه عن الروح ، والسؤال عن الروح يقع على وجوه كثيرة .

المباحـث المتعلقـة بالـروح :

أحدها : أن يُقال ماهية الروح ؟ : أهو متحيِّز أو حالّ فى المتحيِّز ، أو موجود غير متحيِّز ولاحالّ فى المتحيِّز ؟

ثانيها : أن يقال الروح : قديمة أو حادثة .

ثالثها : أن يُقال الأرواح هل تبقى بعد موت الأجسام أو تفنى ؟

رابعها : أن يُقال : ما حقيقة سعادة الأرواح وشقاوتها ؟

---

(١) النساء : آية ١١٣ .

(٢) طه : آية ١١٤ .

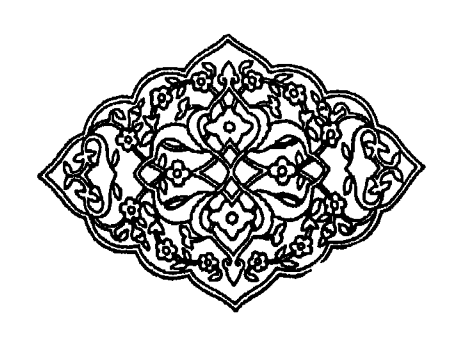
(٣) الأنعام : آية ٥٩ .

وبالجملة ، فالمباحث المتعلقة بالروح كثيرة .. وقوله : ﴿**ويسألونك عن الروح**﴾ ليس فيه مايدل على أنهم عن هذه المسائل سألوا أو عن غيرها ، إلا أنه تعالى ذكر له فى الجواب عن هذا السؤال قوله : ﴿ **قل الروح من أمر ربى** ﴾ ..

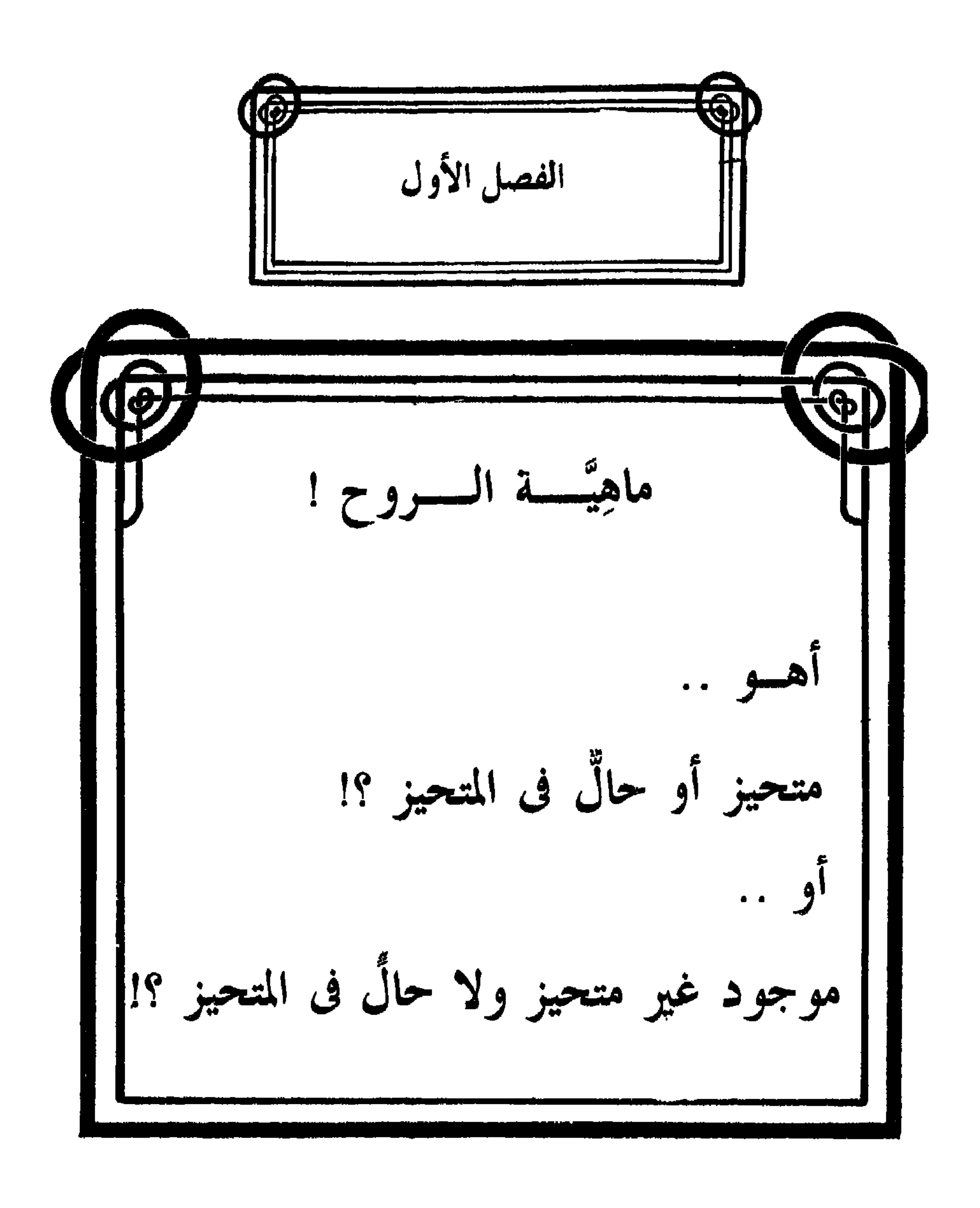
وهذا الجواب لا يليق إلا بمسألتين من المسائل التى ذكرناها :

إحداهما : السؤال عن ماهية الروح .

والثانية : عن قدمها وحدوثها .







الفصل الأول

ماهِيَّة الروح !

أهو ..

متحيز أو حالٌّ فى المتحيز ؟!

أو ..

موجود غير متحيز ولا حالٌّ فى المتحيز ؟!

حقيقة الروح وماهيته

أما المبحث الأول :

فهم قالوا : ماحقيقة الروح وماهيته ؟

ـــ أهو عبارة عن أجسام موجودة فى داخل هذا البدن متولدة من امتزاج الطبائع والأخلاط ؟

ـــ أو هو عبارة عن نفس هذا المزاج والتركيب ؟

ـــ أو هو عبارة عن عرض قائم بهذه الأجسام ؟

ـــ أو هو عبارة عن موجود يغاير هذه الأجسام والأعراض ؟

فأجاب الله عنه بأنه موجود مغاير لهذه الأجسام ولهذه الأعراض ، وذلك لأن هذه الأجسام أشياء تحدث من امتزاج الأخلاط والعناصر . وأما الروح فإنه ليس كذلك ، بل هو جوهر بسيط مجرد لا يحدث إلا بمحدث قوله ﴿ **كن فيكون** ﴾ .. فقالوا : لم كان شيئاً مغايراً لهذه الأجسام ولهذه الأعراض ؟

فأجاب الله عنه : بأنه موجود يحدث بأمر الله ، وتكوينه وتأثيره فى إفادة الحياة لهذا الجسد ، ولا يلزم من عدم العلم بحقيقته المخصوصة نفيه ، فإن أكثر حقائق الأشياء وماهياتها مجهولة .

فإنا نعلم أن السكنجبين[1] له خاصية تقتضى قطع الصفراء ، فأما إذا أردنا أن نعرف ماهية تلك الخاصية وحقيقتها المخصوصة ، فذاك غير

---

(١) شراب مركب من حامض وحلو . معرب فارسيته : سركاانكبين . [المعجم الوسيط] .

معلوم ، فثبت أن أكثر الماهيات والحقائق مجهولة ولم يلزم من كونها مجهولة نفيها ، فكذلك هاهنا ، وهذا هو المراد من قوله : ﴿ **وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً** ﴾ .

وأما المبحث الثانى :

فهو أن لفظ الأمر قد جاء بمعنى الفعل .. قال تعالى : ﴿ **وما أمرُ فرعون برشيد** ﴾[1] .. وقال : ﴿ **فلما جاء أمرنا** ﴾[2] أى فعلنا .. فقوله : ﴿ **قل الروح من أمر ربى** ﴾ أى من فعل ربى .

وهذا الجواب يدل على أنهم سألوه أن الروح قديمة أو حادثة .. فقال : بل هى حادثة ، وإنما حصلت بفعل الله وتكوينه وإيجاده .. ثم احتج على حدوث الروح بقوله : ﴿ **وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً** ﴾ .. يعنى أن الأرواح فى مبدأ الفطرة تكون خالية عن العلوم والمعارف ، ثم يحصل فيها العلوم والمعارف ، فهى لاتزال تكون فى التغيير من حال إلى حال ، وفى التبديل من نقصان إلى كمال ، والتغيير والتبديل من أمارات الحدوث .

فقوله : ﴿ **قل الروح من أمر ربى** ﴾ يدل على أنهم سألوه : أن الروح هل هى حادثة ؟ فأجاب بأنها حادثة واقعة بتخليق الله وتكوينه ، وهو المراد من قوله : ﴿ **قل الروح من أمر ربى** ﴾ .

ثم استدل على حدوث الأرواح بتغيُّرها من حال إلى حال ، وهو المراد من قوله : ﴿ **وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً** ﴾ .. فهذا ما نقوله فى هذا الباب والله أعلم .

---

(١) هود : آية ٩٧ .

(٢) هود : آية ٦٦ .

المسألة الثانية : الأقوال فى نفس الروح

المسألة الثانية :

ذكر سائر الأقوال المقولة فى نفس الروح المذكرة فى هذه الآية : اعلم أن الناس ذكروا أقوالاً أخرى سوى ما تقدم ذكره .

* القول الأول : الروح هو القرآن :

إن المراد من هذا الروح هو القرآن .. قالوا : وذلك لأن الله تعالى سمى القرآن فى كثير من الآيات روحاً ، واللائق بالروح المسئول عنه فى هذا الموضع ليس إلا القرآن ، فلابد من تقرير مقامين :

★ المقـــام الأول :

تسمية الله القرآن بالروح يدل عليه قوله تعالى : ﴿ **وكذلك أوْحَيْنَا إليك روحاً من أمرنا** ﴾[1] .. وقوله : ﴿ **يُنَزِّلُ الملائكة بالروح من أمره** ﴾[2] . وأيضاً السبب فى تسمية القرآن بالروح أن

---

(١) الشورى : آية ٥٢ .

(٢) النحل : آية ٢ .. قال أهل التحقيق : الجسد موات كثيف مظلم ، فإذا اتصل به الروح صار حياً لطيفاً نورانياً، فظهرت آثار النور فى الحواس الخمس . ثم الروح أيضاً ظلمانية جاهلة ، فإذا اتصل العقل بها صارت مشرقة نورانية ، كما قال تعالى : ﴿ **والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئده** ﴾ . ثم العقل أيضاً ليس بكامل النورانية والصفاء والإشراق حتى يستكمل بمعرفة ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله ومعرفة أحوال عالم الأرواح والأجساد ، وعالم الدنيا والآخرة . ثم إن هذه المعارف الشريفة الإلهية لا تكمل ولا تصفو إلا بنور الوحى والقرآن .

إذا عرفت هذا فنقول : القرآن والوحى به تكمل المعارف الإلهية ، والمكاشفات الربانية ، وهذه المعارف بها يشرق العقل ويصفو ويكمل . والعقل به يكمل جوهر الروح ، والروح به يكمل حال الجسد .. وعند هذا يظهر أن الروح الأصلى الحقيقى هو الوحى والقرآن . لأن به يحصل الخلاص من رقدة الجهالة ، ونوم الغفلة ، وبه يحصل الانتقال من حضيض البهيمية إلى أوج الملكية .أهـ . انظر التفسير الكبير للفخر الرازى ، المجلد العاشر ، ص ٢٢٤ .

بالقرآن تحصل حياة الأرواح والعقول ، لأن به تحصل معرفة الله تعالى ومعرفة ملائكته ومعرفة كتبه ورسله ، والأرواح إنما تحيا بهذه المعارف .

★ **وأما المقـام الثانى :**

وهو أن الروح اللائق بهذا الموضع هو القرآن لأنه تقدَّمه قوله : ﴿ **وننزل من القرآن ما هو شفاءٌ ورحمةٌ للمؤمنين** ﴾[1] ، والذى تأخر عنه قوله : ﴿ **ولئن شئنا لنذهبنَّ بالذى أوْحيْنا إليك** ﴾[2] إلى قوله : ﴿ **قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً** ﴾[3] .

فلما كان ما قبل هذه الآية فى وصف القرآن ومابعدها كذلك ، وجب أيضاً أن يكون المراد من هذا الروح القرآن حتى تكون آيات القرآن كلها متناسبة متناسقة ، وذلك لأن القوم استعظموا أمر القرآن فسألوا أنه من جنس الشِّعر أو من جنس الكهانة ، فأجابهم الله تعالى بأنه ليس من جنس كلام البشر ، وإنما هو كلام ظهر بأمر الله ووحيه وتنزيله ، فقال : ﴿ **قل الروح من أمر ربى** ﴾ .. أى القرآن ظهر بأمر ربى وليس من جنس كلام البشر .

● **القول الثانى : الروح مَلَكٌ من الملائكة :**

الـروح المسئول عنه فى هذه الآية ملك من ملائكة السموات ،

---

(١) الإسراء : آية ٨٢ .
(٢) الإسراء : آية ٨٦ .
(٣) الإسراء : آية ٨٨ .

وهو أعظم قدراً وقوة ، وهو المراد من قوله تعالى : ﴿ **يوم يقوم الروح والملائكة صفاً** ﴾[1]

ونقلوا عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : هو مَلَك له سبعون ألف وجه ، لكل وجه سبعون ألف وجه ، لكل وجه سبعون ألف لسان ، لكل لسان سبعون ألف لغة يسبِّح الله تعالى بتلك اللغات كلها ، ويخلق الله من كل تسبيحة ملكاً يطير مع الملائكة إلى يوم القيامة .

قالوا : ولم يخلق الله تعالى خلقاً أعظم من الروح غير العرش ، ولو شاء أن يبتلع السموات السبع والأرضين السبع ومن فيهن بلقمة واحدة لفعل .

بيان ضعف هذا القول :

ولقائل أن يقول : هذا القول ضعيف .. وبيانه من وجوه :

* **الأول :**

أن هذا التفصيل لما عرفه علىٌّ ، فالنبى أوْلى أن يكون قد عرفه ، فلم لم يخبرهم به ؟!!

وأيضاً أن علياً ماكان ينزل عليه الوحى ، فهذا التفصيل ما عرفه إلا من النبى ﷺ ، فلم ذكر النبى ﷺ ذلك الشرح والبيان لعلىٍّ ولم يذكره لغيره ؟!!

الثانى :

أن ذلك الملَك إن كان حيواناً واحداً وعاقلاً واحداً ، لم يكن فى

---

(١) النبأ : آية ٣٨ .

تكثير تلك اللغات فائدة ، وإن كان المتكلم بكل واحدة من تلك اللغات حيواناً آخر لم يكن ذلك الملك واحداً ، بل يكون ذلك مجموع ملائكة .

- **القول الثالث : الروح الذى هو سبب الحياة :**

إن هذا شئ مجهول الوجود فكيف يُسأل عنه ؟ .. وأما الروح الذى هو سبب الحياة فهو شئ تتوفر دواعى العقلاء على معرفته ، فصرف هذا السؤال إليه أَوْلى .

- **القول الرابع : الروح هو جبريل :**

وهو قول الحسن وقتادة : أن هذا الروح جبريل ، والدليل عليه أنه تعالى سمى جبريل بالروح فى قوله تعالى : ﴿ **نزل به الروح الأمين على قلبك** ﴾[1] .. وفى قوله : ﴿ **فأرسلنا إليها روحنا** ﴾[2] .. ويؤكد هذا أنه تعالى قال : ﴿ **قل الروح من أمر ربى** ﴾ فى جبريل .. وقال حكاية عن جبريل : ﴿ **وما نتنزل إلا بأمر ربك** ﴾[3] .

فسألوا الرسول : كيف جبريل فى نفسه ؟ وكيف قيامه بتبليغ الوحى إليه ؟ .

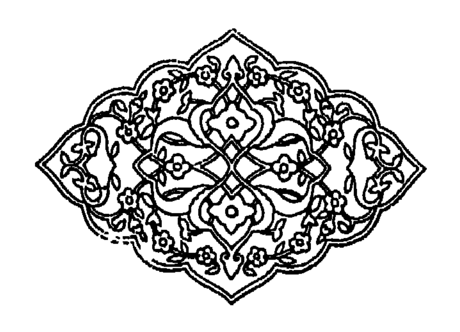
- **القول الخامس : الروح خلق ليسوا من الملائكة :**

قال مجاهد : الروح خلق ليسوا من الملائكة على صورة بنى آدم يأكلون ولهم أيدٍ وأرجل ورؤوس .. قال أبو صالح : يشبهون الناس وليسوا بالناس .

---

(١) الشعراء : آية ١٩٣ ـــ ١٩٤ .
(٢) مريم : آية ١٧ .
(٣) مريم : آية ٦٤ .

ولم أجد فى القرآن ولا فى الأخبار الصحيحة شيئاً يمكن التمسك به فى إثبات هذا القول . وأيضاً فهذا شئ مجهول فيبعد صرف هذا السؤال إليه ، فحاصل ما ذكرناه فى تفسير الروح المذكورة فى هذه الآية هذه الأقوال الخمسة .. والله أعلم بالصواب .



المسألة الثالثة : فى شرح مذاهب الناس فى حقيقة الإنسان

اعلم أن العلم الضرورى حاصل بأن هاهنا شيئاً إليه يشير الإنسان بقوله : « **أنا** » .

وإذا قال الإنسان : علمتُ ، وفهمتُ ، وأبصرتُ ، وسمعتُ ، وذقتُ ، وشممتُ ، ولمستُ ، وغضبتُ .. فالمشار إليه لكل أحد بقوله : أنا ، إما أن يكون جسماً أو عَرَضاً ، أو مجموع الجسم والعرض ، أو شيئاً مغايراً للجسم والعرض ، أو من ذلك الشيء الثالث ، فهذا ضبط معقول .

- **القسم الأول ـــ رأى المتكلمين :**

وهو أن يُقال : إن الإنسان جسم ، فذلك الجسم إما أن يكون هو هذه البنْية ، أو جسما داخلا فى هذه البنية ، أو جسماً خارجاً عنها .

رأى جمهور المتكلمين :

أما القائلون بأن الإنسان عبارة عن هذه البنْية المحسوسة وهذا الجسم المحسوس ، فهم جمهور المتكلمين .. وهؤلاء يقولون : الإنسان لا يحتاج تعريفه إلى ذكر حد أو رسم ، بل الواجب أن يقال : الإنسان هو الجسم المبنى بهذه البنية المحسوسة . واعلم أن هذا القول عندنا باطل ، وتقريره أنهم قالوا : الإنسان هو هذا الجسم المحسوس .. فإذا أبطلنا كون الانسان عبارة عن هذا الجسم المحسوس ، وأبطلنا كون الإنسان محسوساً ، فقد بطل كلامهم بالكلية .

بطلان رأى المتكلمين .. وبيان أن الانسان مغاير لهذا الجسد :

والذى يدل على أنه لا يمكن أن يكون هذا الإنسان عبارة عن هذا الجسم وجـوه :

*** الحجـة الأولى :**

أن العلم البديهى حاصل بأن أجزاء هذه الجثة متبدِّلة بالزياده والنقصان تارة بحسب النمو والذبول ، وتارة بحسب السمن والهزال . والعلم الضرورى حاصل بأن المتبدل المتغيِّر مغاير للثابت الباقى ، ويحصل من مجموع هذه المقدمات الثلاثة العلم القطعى بأن هذا الإنسان ليس عبارة عن مجموع هذه الجثة .

*** الحجـة الثانية :**

أن الإنسان حال ما يكون مشتغل الفكر متوجِّه الهمة نحو أمر معيَّن مخصوص ، فإنه فى تلك الحالة يكون غافلاً عن جميع أجزاء بدنه وعن أعضائه وأبعاضه ، مجموعها ومفصلها ، وهو فى تلك الحالة غير غافل عن نفسه المعينة ، بدليل أنه فى تلك الحالة قد يقول : غضبتُ واشتهيتُ ، وسمعتُ كلامك ، وأبصرتُ وجهك .. وتاء الضمير كناية عن نفسه ، فهو فى تلك الحالة عالم بنفسه المخصوصة ، وغافل عن جملة بدنه وعن كل واحد من أعضائه وأبعاضه . ويكون المعلوم غير المعلوم ، فالإنسان يجب أن يكون مغايراً لجملة هذا البدن ولكل من أعضائه وأبعاضه .

*** الحجـة الثالثة :**

أن كل أحد يحكم عقله بإضافة كل واحد من هذه الأعضاء إلى نفسه ، فيقول : رأسى وعينى ويدى ورجلى ولسانى وقلبى ،

والمضاف غير المضاف إليه ، فوجب أن يكون الشيء الذى هو الإنسان مغايراً لجملة هذا البدن ولكل واحد من هذه الأعضاء .

فإن قالوا : قد يقول : نفسى وذاتى ، فيضيف النفس والذات إلى نفسه . فيلزم أن يكون الشيء وذاته الحقيقية المخصوصة التى يشير إليها كل أحد بقوله : (أنا) ، فإذا قال : نفسى وذاتى ، فإن كان المراد البدن ، فعندنا أنه مغاير لجوهر الإنسان ، أما إذا أريد بالنفس والذات المخصوصة المشار إليها بقوله : (أنا) فلا نسلم أن الإنسان يمكنه أن يضيف ذلك الشيء إلى نفسه بقوله : إنسانى ، وذلك لأن عين الإنسان ذاته ، فكيف يضيفه مرة أخرى إلى ذاته ؟! .

* **الحجة الرابعة :**

أن كل دليل على أن الإنسان يمتنع أن يكون جسماً فهو أيضاً يدل على أنه يمتنع أن يكون عبارة عن هذا الجسم ، وسيأتى تقرير تلك الدلائل .

* **الحجة الخامسة :**

إن الإنسان قد يكون حياً حال ما يكون البدن ميتاً ، فوجب كون الإنسان مغايراً لهذا البدن .. والدليل على صحة ما ذكرناه قوله تعالى : ﴿ **ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون** ﴾[1] .. فهذا النص صريح فى أن أولئك المقتولين أحياء ، والحس يدل على أن هذا الجسد ميت .

---

(1) آل عمران : آية ١٦٩ . وسيفصل الإمام الفخر الرازى القول فى هذه الآية فى فصل آخر مستقل .

* الحجـة السادسة :

أن قوله تعالى : ﴿ **النار يُعرضون عليها غدواً وعشياً** ﴾[1] وقوله : ﴿ **أغرقوا فأدخلوا ناراً** ﴾[2] ، يدل على أن الإنسان يحيا بعد الموت .. وكذلك قوله ﷺ : « **أنبياء الله لا يموتون ولكن ينقلون من دار إلى دار** »[3] ، وكذلك قوله ﷺ : « **القبر روضه من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار** »[4] وكذلك قوله ﷺ : « **من مات فقد قامت قيامته** »[5] .

كل هذه النصوص تدل على أن الإنسان يبقى بعد موت الجسد ، وبديهة العقل والفطرة شاهدان بأن هذا الجسد ميت ، ولو جوزنا كونه حياً جاز مثله فى جميع الجمادات ، وذلك عين السفسطة . وإذا ثبت أن الإنسان شئ وكان الجسد ميتاً لزم أن الإنسان شئ غير هذا الجسد .

* الحجـة السابعة :

قوله ﷺ فى خطبة طويلة له : « **حتى إذا حُمل الميِّت على نعشه رفرف روحه فوق النعش ، ويقول : يا أهلي ويا ولدى لا تلعبنَّ بكم الدنيا كما لعبت بى ، جمعتُ المال من حِلّه وغير حِلّه ، فالغنى لغيرى والتبعة علىَّ ، فاحذروا مثل ما حلّ بى** » .

---

(١) غافر : آية ٤٦ .

(٢) نوح : آية ٢٥ .

(٣) روى ابن ماجه فى سننه من حديث شداد بن أوس : « إن الله قد حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » . انظر كتاب الإقامة حديث ١٠٨٥ ، وكتاب الجنائز . من حديث أبى الدرداء بزيادة « فنبى الله حى يرزق » حديث رقم ١٦٣٧ .

(٤) أخرج الترمذى فى أبواب القيامة من حديث أبى سعيد : « إنما القبر روضه من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار » وقال : هذا حديث حسن غريب .

(٥) قال فى المقاصد : له ذكر فى أكثروا ذكرها ذم اللذات ، ورواه الديلمى عن أنس رفعه بلفظ : إذا مات أحدكم فقد قامت قيامته . أنظر كشف الخفاء ٣٦٨/٢ حديث رقم ٢٦١٨ .

وجه الاستدلال أن النبى ﷺ صرّح بأن حال ما يكون الجسد محمولاً على النعش بقى هناك شئ ينادى ويقول : « **يا أهلى ويا ولدى ، جمعتُ المال من حلّه وغير حلّه** » ومعلوم أن الذى كان الأهل أهلاً له وكان جامعاً للمال من الحرام والحلال ، والذى بقى فى رقبته الوبال ليس إلا ذلك الإنسان ، فهذا تصريح بأن فى الوقت الذى كان فيه الجسد ميتاً محمولاً كان ذلك الإنسان حياً باقياً فاهماً ، وذلك تصريح بأن الإنسان شئ مغاير لهذا الجسد ولهذا الهيكل .

* الحجـة الثامنة :

قوله تعالى : ﴿ **ياأيتها النفس المطمئنة . ارجعى إلى ربك راضية مرضيّة** ﴾[1] . والخطاب بقوله : ارجعى ، إنما هو متوجه عليها حال الموت ، فدل هذا على أن الشيء الذى يرجع إلى الله بعد موت الجسد يكون حياً راضياً عن الله ويكون راضياً عنه الله ، والذى يكون راضياً ليس إلا الإنسان . فهذا يدل على أن الإنسان بقى حياً بعد موت الجسد ، والحى غير الميت ، فالإنسان مغاير لهذا الجسد .

* الحجـة التاسعة :

قوله تعالى : ﴿ **حتى إذا جاء أحدَكم الموتُ توفّته رسُلنا وهم لا يفرِّطون . ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق** ﴾[2] .

أثبت كونهم مردودين إلى الله الذى هو مولاهم حال كون الجسد ميِّتاً ، فوجب أن يكون ذلك المردود إلى الله مغايراً لذلك الجسد الميت .

---

(١) الفجر : آية ٢٧ ــ ٢٨ . وسيأتى المزيد حول هاتين الآتين إن شاء الله تعالى .
(٢) الأنعام : آية ٦١ ــ ٦٢ .

* **الحجة العاشرة :**

نرى جميع فِرَق الدنيا من الهند والروم والعرب والعجم وجميع أرباب الملل والنِّحل من اليهود والنصارى والمجوس والمسلمين وسائر فِرَق العالم وطوائفهم يتصدَّقون عن موتاهم ، ويدعون لهم بالخير ، ويذهبون إلى زياراتهم ، ولولا أنهم بعد موت الجسد بقوا أحياءً لكان التصدق عنهم عبثاً ، والدعاء لهم عبَثاً ، ولكان الذهاب إلى زيارتهم عبثاً

فالإطباق على هذه الصدقة وعلى هذا الدعاء وعلى هذه الزيارة يدل على أن فطرتهم الأصلية سليمة شاهدة بأن الإنسان شئ غير هذا الجسد ، وأن ذلك الشئ لا يموت ، بل الذى يموت هذا الجسد .

* **الحجة الحادية عشرة :**

أن كثيراً من الناس يرى أباه أو ابنه بعد موته فى المنام ويقول له : اذهب إلى الموضع الفلانى فإن فيه ذهباً دفنته لك ، وقد يراه فيوصيه بقضاء ديْن عنه ، ثم عند اليقظة إذا فتَّش كان كما رآه فى النوم من غير تفاوت ، ولولا أن الإنسان يبقى بعد الموت لما كان كذلك . ولما دلَّ هذا الدليل على أن الإنسان يبقى بعد الموت ودلَّ الحس على أن الجسد ميِّت كان الإنسان مغايراً لهذا الجسد الميت .

* **الحجة الثانية عشرة :**

أن الإنسان إذا ضاع عضو من أعضائه مثل أن تُقطع يداه أو رجلاه ، أو تُقلع عيناه ، أو تُقطع أذناه إلى غيرها من الأعضاء ، فإن ذلك الإنسان يجد من قلبه وعقله أنه هو عين ذلك الإنسان ، ولم يقع فى عين ذلك الإنسان تفاوت ، حتى أنه يقول : أنا ذلك الإنسان الذى

كنت موجوداً قبل ذلك ، إلا أنه يقول أنهم قطعوا يدىّ ورجلىّ .

وذلك برهان يقينى على أن ذلك الإنسان شئ مغاير لهذه الأعضاء والأبعاض ، وذلك يبطل قول من يقول : الإنسان عبارة عن هذه البنْية المخصوصة .

* الحجة الثالثة عشرة :

أن القرآن والأحاديث يدلان على أن جماعة من اليهود قد مسخهم الله وجعلهم فى صورة القردة والخنازير .. فنقول : إن ذلك الإنسان هل بقى حال ذلك المسخ أم لم يبق ؟ .. فإن لم يبق كان هذا إماتة لذلك الإنسان وخلقاً لذلك الخنزير ، وليس هذا من المسخ فى شئ .

وإن قلنا : إن ذلك الإنسان بقى حال حصول ذلك المسخ فنقول على ذلك التقدير : ذلك الإنسان باقٍ وتلك البنْية وذلك الهيكل غير باقٍ ، فوجب أن يكون ذلك الإنسان شيئاً مغايراً لتلك البنية .

* الحجة الرابعة عشرة :

أن رسول الله ﷺ كان يرى جبريل عليه السلام فى صورة دحية الكلبى[1] ، وكان يرى إبليس فى صورة الشيخ النجدى ، فهاهنا بنية الإنسان وهيكله وشكله حاصل مع أن حقيقة الإنسان غير حاصلة ، وهذا يدل على أن الإنسان ليس عبارة عن هذه البِنْية وهذا الهيكل .

والفرق بين هذه الحجة والتى قبلها أنه حصلت صورة هذه البِنْية مع عدم هذه البِنْية وهذا الهيكل .

---

(١) هو دحية بن خليفة الكلبى وقد حباه الله جمالاً .

* **الحجة الخامسة عشرة :**

أن الزانى يزنى بفرجه ، فيُضرب على ظهره ، فوجب أن يكون الإنسان شيئاً آخر سوى الفرج وسوى الظهر .. ويُقال إن ذلك الشئ يستعمل الفرج فى عمل والظهر فى عمل آخر ، فيكون المتلذذ والمتألم هو ذلك الشئ ، إلا أنه تحصل تلك اللذة بواسطة ذلك العضو ، ويتألم بواسطة الضرب على هذا العضو .

* **الحجة السادسة عشرة :**

أنى إذا تكلمت مع زيد وقلت له : افعل كذا أو لا تفعل كذا ، فالمخاطب بهذا الخطاب والمأمور والمنهى ليس هو جبهة زيد ولا حدقته ولا أنفه ولا فمه ، ولا شيئاً من أعضائه بعيْنه .. فوجب أن يكون المأمور والمنهى والمخاطب شيئاً مغايراً لهذه الأعضاء .

وذلك يدل على أن ذلك المأمور والمنهى غير هذا الجسد .. فإن قالوا : لم لا يجوز أن يُقال : المأمور والمنهى جملة هذا البدن لا شئ من أعضائه وأبعاضه ؟ قلنا بوجه التكليف على الجملة : إنما يصح لو كانت الجملة[1] فاهمة عالمة ، فنقول : لو كانت الجملة فاهمة عالمة ، فإما أن يقوم بمجموع البدن علم واحد ، أو يقوم بكل واحد من أجزاء البدن علم على حدة .

والأول يقتضى قيام العَرَض بالمحال الكثيرة وهو محال .. والثانى يقتضى أن يكون كل واحد من أجزاء البدن عالماً فاهماً مُدركاً على سبيل الاستقلال ، وقد بيَّنا أن العلم الضرورى حاصل بأن الجزء المعيَّن من البدن ليس فاهماً مدركاً بالاستقلال ، فسقط السؤال .

---

(١) جملة البدن .

* **الحجـة السابعة عشرة :**

أن الإنسان يجب أن يكون عالماً ، والعلم لا يحصل إلا فى القلب ، فيلزم أن يكون الإنسان عبارة عن الشىء الموجود فى القلب .. وإذا ثبت هذا بطل القول بأن الإنسان عبارة عن هذا الهيكل ، وهذه الجثة . إنما قلنا إن الإنسان يجب أن يكون عالماً؛ لأنه فاعل مختار .. والفاعل المختار هو الذى يفعل بواسطة القلب والاختيار ، وهما مشروطان بالعلم ؛ لأن مالا يكون مقصوداً امتنع القصد إلى تكوينه ، فثبت أن الإنسان يجب أن يكون عالماً بالأشياء ، وإنما قلنا إن العلم لا يوجد إلا فى القلب للبرهان والقرآن :

أما البرهان ، فلأنا نجد العلم ضرورى بأنا نجد علومنا من ناحية القلب .

وأما القرآن فآيات نحو قوله تعالى : ﴿ **هم قلوب لا يفقهون بها** ﴾[1] وقوله : ﴿ **كتب فى قلوبهم الإيمان** ﴾[2] ، وقوله : ﴿ **نزل به الروح الأمين على قلبك** ﴾[3] ..

وإذا ثبت أن الإنسان يجب أن يكون عالماً ، وثبت أن العلم ليس إلا فى القلب ، **ثبت أن الإنسان شىء فى القلب أو شىء له تعلق بالقلب .. وعلى التقديرين فإنه يبطل قول من يقول : الإنسان هو هذا الجسد وهذا الهيكل .**

---

(١) الأعراف : آية ١٧٩ .

(٢) المجادلة : آية ٢٢ .

(٣) الشعراء : آية ١٩٣ ــ ١٩٤ .

المسألة الرابعة : بيان حقيقة الإنسان .. وهل هو محسوس ؟

وفى هذا البحث بيان أن الإنسان غير محسوس ، وهو أن حقيقة الإنسان شئ مغاير للسطح واللون . وكل ما هو مرئى فهو إما السطح وإما اللون ، وهما مقدمتان قطعيتان ، ويُنتج هذا القياس أن حقيقة الإنسان غير مرئية ولا محسوسة ، وهذا برهان يقينى .

اعلم أن الأجسام الموجودة فى هذا العالم السفلى ، إما أن تكون أحد العناصر الأربعة ، أو ما يكون متولداً من امتزاجها .

ويمتنع أن يحصل فى البدن الإنسانى جسم عنصرى خالص ، بل لابد وأن يكون الحاصل جسماً متولداً من امتزاجات هذه الأربعة ، فنقول :

أما الجسم الذى تغلب عليه الأرضية ، فهو الأعضاء الصلبة الكثيفة كالعظم والغضروف والعصب والوتر والرباط والشحم واللحم والجلد ، ولم يقل أحد من العقلاء الذين قالوا : الإنسان شئ مغاير لهذا الجسد بأنه عبارة عن عضو معيَّن من هذه الأعضاء ، وذلك لأن هذه الأعضاء كثيفة ثقيلة ظلمانية ، فلا جرم ، لم يقل أحد من العقلاء بأن الإنسان عبارة عن أحد هذه الأعضاء ، وأما الجسم الذى تغلب عليه المائية فهو الأخلاط الأربعة ، ولم يقل أحد فى شئ منها إنه الإنسان ، إلا فى الدم ، فإن منهم من قال : إنه هو الروح ، بدليل أنه إذا خرج لزم الموت .

أما الجسم الذى تغلب عليه الهوائية والنارية فهو الأرواح .. وهى نوعان :

أحدهما : أجسام هوائية مخلوطة بالحرارة الغريزية متولدة إما فى القلب أو فى الدماغ ، وقالوا : إنها هى الروح ، وإنها هى الإنسان .. ثم اختلفوا : فمنهم من يقول : الإنسان هو الروح الذى فى القلب .. ومنهم من يقول : إنه جزء لا يتجزأ فى الدماغ ... ومنهم من يقول : الروح عبارة عن أجزاء نارية مختلطة بهذه الأرواح القلبية والدماغية وتلك الأجزاء النارية وهى المسماة بالحرارة الغريزية ، وهى الإنسان .

ومن الناس من يقول : الروح عبارة عن أجسام نورانية سماوية لطيفة ، والجوهر على طبيعة ضوء الشمس ، وهى لا تقبل التحلل والتبدل ولا التفرق ولا التمزق ، فإذا تكوَّن البدن وتمَّ استعداده وهو المراد بقوله : ﴿ **فإذا سوَّيته** ﴾[1] نفذت تلك الأجسام الشريفة السماوية الإلهية فى داخل أعضاء البدن نفاذ النار فى الفحم ، ونفاذ دهن السمسم فى السمسم ، ونفاذ ماء الورد فى جسم الورد .

ونفاذ تلك الأجسام السماوية فى جوهر البدن هو المراد بقوله : ﴿ **ونفخت فيه من روحى** ﴾[2] .

ثم إن البدن مادامٌ يبقى سليماً قابلاً لنفاذ تلك الأجسام الشريفة بقى حياً .. فإذا تولدت فى البدن أخلاط غليظة منعت تلك الأخلاط الغليظة من سريان تلك الأجسام الشريفة فيها ، فانفصلت عن هذا البدن ، فحينئذ يعرض الموت .

---

(1) الحجر : آية ٢٩ .

(2) الحجر : آيه ٢٩ .

فهذا مذهب قوى شريف يجب التأمل فيه ، فإنه شديد المطابقة لما ورد فى الكتب الإلهية من أحوال الحياة والموت .

فهذا تفصيل مذاهب القائلين بأن الإنسان جسم موجود فى داخل البدن .. وأما أن الإنسان جسم موجود خارج البدن فلا أعرف أحداً ذهب إلى هذا القول .

أما القسم الثانى :

وهو أن يُقال الإنسان عَرَضٌ حالّ فى البدن .. فهذا لا يقول به عاقل ، لأن من المعلوم بالضرورة أن الإنسان جوهر ، لأنه موصوف بالعلم والقدرة والتدبر والتصرف ، ومن كان كذلك كان جوهراً .. والجوهر لا يكون عرضاً ، بل الذى يمكن أن يقول به كل عاقل هو أن الإنسان يشترط أن يكون موصوفاً بأعراض مخصوصة .

وعلى هذا التقدير فللناس فيه أقوال ..

- **القـول الأول :**

أن العناصر الأربعة إذا امتزجت وانكسرت سَوْرَةُ كل واحد منها بسورة الآخر حصلت كيفية معتدلة هى المِزاج .. ومراتب هذا المزاج غير متناهية ، فبعضها هى الإنسانية ، وبعضها هى الفرسية .. فالإنسانية عبارة عن أجسام موصوفة متولدة عن امتزاجات أجزاء العناصر بمقدار مخصوص ، هذا قول جمهور الأطباء ومنكرى بقاء النفس ، وقول أبى الحسين البصرى من المعتزلة .

- **القـول الثانى :**

أن الإنسان عبارة عن أجسام مخصوصة بشرط كونها موصوفة بصفة الحياة والعلم والقدرة . والحياة عرض قائم بالجسم .. وهؤلاء

أنكروا الروح والنفس وقالوا : ليس هاهنا إلا أجسام مؤتلفة موصوفة بهذه الأعراض المخصوصة ، وهى الحياة والعلم والقدرة .. وهذا مذهب أكثر شيوخ المعتزلة .

● **القول الثالث :**

أن الإنسان عبارة عن أجسام موصوفة بالحياة والعلم والقدرة ، والإنسان إنما يمتاز عن سائر الحيوانات بشكل جسده وهيئة أعضائه وأجزائه ، إلا أن هذا مشكل ، فإن الملائكة قد يتشبهون بصور الناس ، فهاهنا صورة الإنسان حاصلة مع عدم الإنسانية ، وفى صورة المسخ معنى الإنسانية حاصل مع أن هذه الصورة غير حاصلة ، فقد بطل اعتبار هذا الشكل فى حصول معنى الإنسانية طرداً وعكساً .

أما القسم الثالث :

وهو أن يقال الإنسان موجود ليس بجسم ولا جسمانية ، فهو قول أكثر الإلٰهيين من الفلاسفة القائلين ببقاء النفس المثبتين للنفس معاداً روحانياً وثواباً وعقاباً وحساباً روحانياً ..

وذهب إليه جماعة عظيمة من علماء المسلمين مثل الشيخ أبى القاسم الراغب الأصفهانى والشيخ أبى حامد الغزالى رحمهما الله .. ومن قدماء المعتزلة معمر بن عباد السلمى .. ومن الشيعة الملقب عندهم بالشيخ المفيد .. ومن الكرامية جماعة .

القول بإثبات النفس :

واعلم أن القائلين بإثبات النفس فريقان :

الأول : وهم المحققون ، منهم من قال : الإنسان عبارة عن هذا الجوهر المخصوص ، وهذا البدن ، وعلى هذا التقدير فالإنسان غير

موجود فى داخل العالم ولا فى خارجه ، وغير متصل فى داخل العالم ولا فى خارجه ، وغير متصل بالعالم ولا منفصل عنه .. ولكنه متعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف ، كما أن إله العالم لا تعلق له بالعالم إلا على سبيل التصرف والتدبير .

الفريق الثانى : الذين قالوا : النفس إذا تعلقت بالبدن اتحدت بالبدن ، فصارت النفس عين البدن ، والبدن عين النفس ، ومجموعهما عند الاتحاد هو الإنسان .. فإذا جاء وقت الموت بطل هذا الاتحاد وبقيت النفس وفسد البدن .

فهذه جملة مذاهب الناس فى الإنسان .. وكان ثابت بن قرَّة يثبت النفس ويقول : إنها متعلقة بأجسام سماوية نورانية لطيفة غير قابلة للسكون والفساد والتفرق والتمزق ، وأن تلك الأجسام تكون سارية فى البدن ، ومادام يبقى ذلك السريان بقيت النفس مدبرة للبدن ، فإذا انفصلت تلك الأجسام اللطيفة عن جوهر البدن انقطع تعلق النفس عن البدن .



النفس ليست جسماً

المسألة الخامسة : الأدلة العقلية لإثبات ذلك

احتج القوم بوجوه كثيرة بعضها قوى وبعضها ضعيف .. والوجوه القوية بعضها قطعية وبعضها إقناعية .. فلنذكر الوجوه القطعية :

* **الحجة الأولى :**

لاشك أن الإنسان جوهر ، فإما أن يكون جوهراً متحيّزاً أو غير متحيّز .. والأول باطل ، فتعيَّن الثانى .. والذى يدل على أنه يمتنع أن يكون جوهراً متحيزاً أنه لو كان كذلك لكان كونه متحيِّزاً غير تلك الذات ، ولو كان كذلك لكان كل ما علم الإنسان ذاته المخصوصة وجب أن يعلم كونه متحيِّزاً بمقدار مخصوص ، وليس الأمر كذلك ، فوجب ألا يكون الإنسان جوهراً متحيزاً ، فنفتقر فى تقرير هذا الدليل إلى مقدمات ثلاث :

ـــ **المقدمة الأولى** : لو كان الإنسان جوهراً متحيزاً لكان كونه متحيزاً عين ذاته المخصوصة ، والدليل عليه أنه لو كان تحيزه صفة قائمة لكان ذلك المحل من حيث هو مع قطع النظر عن هذه الصفة ، إما أن يكون متحيزاً أو لا يكون . والقسمان باطلان ، فبطل القول بكون التحيِّز صفة قائمة بالمحل ، إنما قلنا إنه يمتنع أن يكون محل التحيز لأنه يلزم كون الشىء الواحد متحيزاً مرتين ، ولأنه يلزم اجتماع المثلين ، ولأنه ليس جعل أحدهما ذاتاً والآخر صفة أولى من العكس ، ولأن

التحيز الثانى إن كان عين الذات فهو المقصود ، وإن كان صفة لزم التسلسل ، وهو محال .. وإنما قلنا إنه يمتنع أن يكون محل التحيز غير متحيز لأن حقيقة التحيز هو الذهاب فى الجهات والامتداد فيها ، والشيء الذى لا يكون متحيِّزاً لم يكن له اختصاص بالجهات وحصوله فيها ليس بمتحيز محال .. فثبت بهذا أنه لو كان الإنسان جوهراً متحيزاً لكان تحيزه غير ذاته المخصوصة .

— **المقدمة الثانية** : لو كان تحيز ذاته المخصوصة عين ذاته المخصوصة لكان متى عرف ذاته المخصوصة فقد عرف كونها متحيزة . والدليل عليه أنه لو صارت ذاته المخصوصة معلومة وصار تحيزه مجهولاً لزم اجتماع النفى والإثبات فى الشيء الواحد وهو محال .

— **المقدمة الثالثة** : أنَّا قد نعرف ذاتنا حال كوننا جاهلين بالتحيز والامتداد فى الجهات الثلاث ، وذلك ظاهر عند الاختبار والامتحان ، فإن الإنسان حال كونه مشتغلاً بشيء من المهمات مثل أن يقول لعبده : لما فعلت كذا ؟ ولم خالفت أمرى وإنى أبالغ فى تأديبك وضربك ؟ .. فعندما يقول : لم خالفت أمرى ؟ يكون عالماً بذاته المخصوصة ، إذ لو لم يعلم ذاته المخصوصة لامتنع أن يعلم أن ذلك الإنسان خالفه ، ولامتنع أن يخبر نفسه بأنه على عزم أن يؤدبه ويضربه .. ففى هذه الحالة يعلم ذاته المخصوصة ، مع أنه فى تلك الحالة لا يخطر بباله حقيقة التحيز والامتداد فى الجهات والحصول فى الحيز .

فثبت بما ذكرنا أنه لو كان ذات الإنسان جوهراً متحيزاً لكان تحيزه عين ذاته المخصوصة ، ولو كان كذلك لكان كل ما علم ذاته المخصوصة فقد علم التحيز ، وثبت أنه ليس كذلك ، فيلزم أن يقال : ذات الإنسان ليس جوهراً متحيزاً وذلك هو المطلوب .

فإن قالوا : هذا معارض بأنه لو كان جوهراً مجرداً لكان كل من عرف ذات نفسه عرف كونه جوهراً مجرداً ، وليس الأمر كذلك .. قلنا : الفرق ظاهر لأن كونه مجرداً معناه أنه ليس بمتحيز ولا حالاً فى المتحيز ، وهذا السلب ليس عين تلك الذات المخصوصة ، لأن السلب ليس عين الثبوت .. وإذا كان كذلك لم يبعد أن تكون تلك الذات المخصوصة معلومة ، وأن لا يكون ذلك السلب معلوماً بخلاف كونه متحيزاً ، فإنا قد دللنا على أن تقدير كون الإنسان جوهراً متحيزاً يكون تحيزه عين ذاته المخصوصة ، وعلى هذا التقدير يمتنع أن تكون ذاته معلومة ويكون تحيزه مجهولاً ، فظهر الفرق .

*** الحجة الثانية :**

النفس واحدة ، ومتى كانت واحدة وجب أن تكون مغايرة لهذا البدن ولكل واحد من أجزائه ، فهذه الحجة مبنيَّة على مقدمات :

ــ **المقدمة الأولى** : هى قولنا : النفس واحدة ، ولنا هاهنا مقامان : تارة ندعى العلم البديهى فيه .. وأخرى نقيم البرهان على صحته .

أما المقام الأول ، وهو إدعاء البديهية، فنقول : المراد من النفس هو الشيء الذى يشير إليه كل أحد بقوله (أنا) ، وكل أحد يعلم بالضرورة أنه إذا أشار إلى ذاته المخصوصة بقوله (أنا) كان ذلك المشار إليه واحداً غير متعدد ، فإن قيل : لم لا يجوز أن يكون المشار إليه لكل أحد بقوله (أنا) وإن كان واحداً إلا أن ذلك الواحد يكون مركباً من أشياء كثيرة ؟ . قلنا : إنه لا حاجة لنا فى هذا المقام إلى دفع هذا السؤال ، بل نقول : المشار إليه بقول (أنا) معلوم بالضرورة أنه شيء واحد ، فإما أن ذلك الواحد هل هو واحد مركب من أشياء

كثيرة أو هو واحد فى نفسه ، واحد فى حقيقته ، فهذا لا حاجة إليه فى هذا المقام .

أما المقام الثانى ، وهو مقام الاستدلال ، فالذى يدل على وحدة النفس وجوه :

* **الحجة الأولى :**

أن الغضب حالة نفسانية تحدث عند إرادة دفع المنافرة ، والشهوة حالة نفسانية تحدث عند طلب الملائم مشروطاً بالشعور بكون الشئ ملائماً أو منافراً .. فالقوة الغضبية التى هى قوة دافعة للمنافر إن لم يكن لها شعور بكونه منافراً امتنع انبعاثها لدفع ذلك المنافر على سبيل القصد والاختيار .. لأن القصد إلى الجذب تارة وإلى الدفع أخرى مشروط بالشعور بالشئ ، فالشئ المحكوم عليه بكونه دافعاً للمنافر على سبيل الاختيار لابد وأن يكون له شعور بكونه منافراً ، فالذى يغضب لابد وأن يكون هو بعينه مدركاً ، فثبت بهذا البرهان اليقينى مباينة حاصلة فى ذوات متباينة .

* **الحجة الثانية :**

أنَّا إذا افترضنا جوهرين مستقلين يكون كل واحد منهما مستقلاً بفعله الخاص ، امتنع أن يصير اشتغال أحدهما بفعله الخاص مانعاً للآخر من اشتغاله بفعله الخاص به .

وإذا ثبت هذا ، فنقول : لو كان محل الإدراك والفكر جوهراً ، ومحل الغضب جوهراً آخر ، ومحل الشهوة جوهراً ثالثاً .. وجب أن لا يكون اشتغال القوة الغضبية بفعلها مانعاً للقوة الشهوانية من الاشتغال بفعلها ولا بالعكس ، لكن الثانى باطل ، فإن اشتغال

الإنسان بالشهوة وانصبابه إليها يمنعه من الاشتغال بالغضب وانصبابه إليه وبالعكس .. فعلمنا أن هذه الأمور الثلاثة ليست مبادئ مستقلة ، بل هى صفات مختلفة بجوهر واحد ، فلا جرم كان اشتغال ذلك الجوهر بأحد هذه الأفعال عائقاً له عن الاشتغال بالفعل الآخر .

* **الحجة الثالثة :**

أنَّا إذا أدركنا أشياء ، فقد يكون الإدراك سبباً لحصول الشهوة ، وقد يصير سبباً لحصول الغضب .. فلو كان الجوهر المدرك مغايراً للذى يغضب والذى يشتهى ، فحين أدرك الجوهر المدرك لم يحصل عند الجوهر المشتهى من ذلك الإدراك أثر ولا خبر ، فوجب أن لا يترتب على ذلك الإدراك لا حصول الشهوة ولا حصول الغضب ، وحيث حصل هذا الترتيب والاستلزام علمنا أن صاحب الإدراك بعينه هو صاحب الشهوة بعينها وصاحب الغضب بعينه .

* **الحجة الرابعة :**

أن حقيقة الحيوان أنه جسم ذو نفس حساسة متحركة بالإرادة ، فالنفس لا يمكنها أن تتحرك بالإرادة إلا عند حصول الداعى ، ولا معنى للداعى إلا الشعور بخير يرغب فى جذبه أو بشر يرغب فى دفعه .. وهذا يقتضى أن يكون المتحرك بالإرادة هو بعينه مدركاً للخير والشر ، والملذ والمؤذى ، والنافع والضار .. فثبت بما ذكرنا أن النفس الإنسانية شئ واحد ، وثبت أن ذلك الشئ هو المبصر ، والسامع ، والشَّام ، والذائق ، واللَّامس ، والمتخيِّل ، والمتفكر ، والمتذكر ، والمشتهى ، والغاضب ، وهو الموصوف بجميع الإدراكات لكل المدركات ، وهو الموصوف بجميع الأفعال الاختيارية والحركات الإرادية .

ـــ **المقدمة الثانية** : فى بيان أنه لما كانت النفس شيئاً واحداً ، وجب ألا تكون النفس فى هذا البدن ولا شيئاً من أجزائه .. فنقول :

أما بيان أنه متى كان الأمر كذلك امتنع كون النفس عبارة عن جملة هذا البدن ، وكذا القوة السامعة ، وكذا سائر القوى ، كالتخيُّل والتذكر والتفكر ، والعلم بأن هذه القوة غير سارية فى جملة أجزاء البدن علم بديهى .. بل هو من أقوى العلوم البديهية .

وأما بيان أنه يمتنع أن تكون النفس جزءاً من أجزاء هذا البدن ، فإنَّا نعلم بالضرورة أنه ليس فى البدن جزء واحد هو بعينه موصوف بالإبصار والسماع والفكر والذكر ، بل الذى يتبادر إلى الخاطر أن الإبصار مخصوص بالعين لا بسائر الأعضاء ، والسماع مخصوص بالأذن لا بسائر الأعضاء ، والصوت مخصوص بالحلق لا بسائر الأعضاء .. وكذلك القول فى سائر الإدراكات وسائر الأفعال . فإما أن يُقال : إنه حصل فى البدن جزء واحد موصوف بكل هذه الإدراكات وبكل هذه الأفعال ، فالعلم الضرورى حاصل بأنه ليس الأمر كذلك ..

فثبت بما ذكرنا أن النفس الإنسانية شئ واحد موصوف بجملة هذه الإدراكات وبجملة هذه الأفعال ، وثبت بالبديهية أن جملة البدن ليست كذلك .

وثبت أيضاً أن شيئاً من أجزاء البدن ليس كذلك .. فحينئذ يحصل اليقين بأن النفس شئ مغاير لهذا البدن ولكل واحد من أجزائه وهو المطلوب .

ولنقرر هنا البرهان بعبارة أخرى .. فنقول :

إنَّا نعلم بالضرورة أنَّا إذا أبصرنا شيئاً عرفناه ، وإذا عرفناه اشتهيناه ، وإذا اشتهيناه حركنا أبداننا إلى القرب منه ، فوجب القطع بأن الذى أبصر هو الذى عرف ، وأن الذى عرف هو الذى اشتهى ، وأن الذى اشتهى هو الذى حرّك إلى القرب منه .. فيلزم القطع بأن المبصر لذلك الشئ والعارف به والمشتهى والمتحرك إلى القرب منه شئ واحد .. إذ لو كان المبصر شيئاً ، والعارف شيئاً ثانياً ، والمشتهى شيئاً ثالثاً ، والمتحرك شيئاً رابعاً ، لكان الذى أبصر لم يعرف ، والذى عرف لم يشتهِ ، والذى اشتهى لم يتحرك ، ومن المعلوم أن كون الشئ مبصراً لا يقتضى صيرورة شئ آخر عالماً بذلك الشئ .. وكذلك القول فى سائر المراتب .

وأيضاً فإنَّا نعلم بالضرورة أن الرائى للمرئيات لما رآها فقد عرفها ، ولما عرفها فقد اشتهاها ، ولما اشتهاها طلبها وحرَّك الأعضاء إلى القرب منها ، ونعلم أيضاً بالضرورة أن الموصوف بهذه الرؤية وبهذا العلم وبهذه الشهوة وبهذا التحرك هو لا غيره .

وأيضاً العقلاء قالوا : الحيوان لابد أن يكون حساساً متحركاً بالإرادة ، فإن لم يحس بشئ لم يشعر بكونه ملائماً أو بكونه منافراً .. وإذا لم يشعر بذلك امتنع كونه مريداً للجذب أو الدفع ، فثبت أن الشيء الذى يكون متحركا بالإرادة فإنه بعينه يجب أن يكون حساساً.. فثبت أن المدرك لجميع المدركات يدرك بجميع أصناف الإدراكات .. وأن المباشر لجميع التحريكات الاختيارية شئ واحد أيضاً .. فلأنَّا إذا تكلمنا بكلام نقصد منه تفهيم الغير ، عقلْنا معانى تلك الكلمات ، ثم لما عقلناها أردنا تعريف غيرنا تلك المعانى ، ولما حصلت هذه الإرادة فى قلوبنا حاولنا إدخال تلك الحروف والأصوات فى الوجود لنتوسَّل

بها إلى تعريف غيرنا تلك المعانى

إذا ثبت هذا فنقول :

إن كان محل العلم والإرادة ومحل تلك الحروف والأصوات جسماً واحداً ، لزم أن يُقال : إن محل العلوم والإرادات هو الحنجرة واللهاة[1] واللسان .. ومعلوم أنه ليس كذلك .. وإن قلنا : محل العلوم والإرادات هو القلب .. لزم أيضاً أن يكون محل الصوت هو القلب .. وذلك أيضاً باطل بالضرورة .

وإن قلنا : محل الكلام هو الحنجرة واللهاة واللسان ، ومحل العلوم والإرادات هو القلب ، ومحل القدرة هو الأعصاب والأوتار والعضلات ، كنا قد وزَّعنا هذه الأمور على هذه الأعضاء المختلفة لكنا أبطلنا ذلك .. وبيَّنا أن المدرك لجميع المدركات والمحرك لجميع الأعضاء بكل أنواع التحريكات يجب أن يكون شيئاً واحداً .. فلم يبق إلا أن يُقال فى الإدراك والقدرة على التحريك أنه شىء سوى هذا البدن وسوى أجزاء هذا البدن ، وأن هذه الأعضاء جارية مجرى الآلات والأدوات ، فكما أن الإنسان يعقل أفعالاً مختلفة بواسطة آلات مختلفة ، فكذلك النفس تبصر بالعين وتسمع بالأذن وتفكر بالدماغ وتعقل بالقلب ..

فهذه الأعضاء آلات النفس وأدوات لها ، والنفس جوهر مغاير لها مفارق عنها بالذات ، متعلق بها تعلق التصرف والتدبير .. وهذا البرهان برهان شريف يقيني فى ثبوت هذا المطلوب .. والله أعلم .

ـــ **المقدمة الثالثة** : لو كان الإنسان عبارة عن هذا الجسد لكان إما أن يقوم بكل واحد من أجزائه حياة وعلم وقدرة على حدة ...وإما أن

(١) اللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق . أو الهنةُ المطبقة فى أقصى سقف الفم .

يقوم بمجموع الأجزاء حياة وعلم وقدرة .. والقسمان باطلان .. فبطل القول بكون الإنسان عبارة عن هذا الجسد .

وأما بطلان القسم الأول فلأنه يقتضى كون كل واحد من أجزاء الجسد حياً عالماً قادراً على سبيل الاستقلال .. فوجب أن يكون الإنسان الواحد حيواناً واحداً بل أحياء عالمين قادرين .. وحينئذ لا يبقى فرق بين الإنسان الواحد وبين أشخاص كثيرين من الناس ، وربط بعضهم بالبعض بالتسلسل ، لكنا نعلم بالضرورة فساد هذا لكلام لأنى أجد ذاتى ذاتاً واحدة لا حيوانات كثيرين .

وأيضاً فبتقدير أن يكون كل واحد من أجزاء هذا الجسد حيواناً واحداً على حدة ، فحينئذ لا يكون لكل واحد منها خبر عن حال صاحبه ، فلا يمتنع أن يريد هذا أن يتحرك إلى هذا الجانب ويريد الجزء الآخر أن يتحرك إلى الجانب الآخر ، فحينئذ يقع التدافع بين أجزاء بدن الإنسان الواحد كما يقع بين شخصين .. وفساد ذلك معلوم بالبديهة .

وأما بطلان القسم الثانى ، فلأنه يقتضى قيام الصفة الواحدة بالمحال الكثيرة .. وذلك معلوم البطلان بالضرورة .. ولأنه لو جاز حلول الصفة الواحدة فى المحال الكثيرة لم يبعد أيضاً حصول الجسم الواحد فى الأحياز الكثيرة .. ولأن بتقدير أن تحصل الصفة الواحدة فى المحال المتعددة فحينئذ يكون كل واحد من تلك الأجزاء حياً عاقلاً عالماً ، فيتجرد الأمر إلى كون هذه الجثة الواحدة أناساً كثيرين . ولما ظهر فساد القسمين ثبت أن الإنسان ليس هو هذه الجثة .

فإن قالوا : لم لا يجوز أن تقوم الحياة الواحدة بالجزء الواحد .. ثم إن تلك الحياة تقتضى صيرورة جملة الأجزاء أحياء ، قلنا : هذا باطل ،

لأنه لا معنى للحياة إلا الحيية ، ولا معنى للعلم إلى العالمية .. وبتقدير أن نساعد على أن الحياة معنى يوجب الحيية والعلم معنى يوجب العالمية ، إلا أنَّا نقول : إن حصل فى مجموع جثة مجموعة حياة واحدة وعالمية واحدة ، فقد حصلت الصفة الواحدة فى المحال الكثيرة وهو محال .. وإن حصل فى كل جزء وجثة حياة على حدة وعالمية على حدة عاد ما ذكرنا من كون الإنسان الواحد أناساً كثيرين وهو محال .

ـــ **المقدمة الرابعة** : أنا لو تأملنا فى أحوال النفس رأينا أحوالها بالضدِّ من أحوال الجسم .. وذلك يدل على أن النفس ليست جسماً .. وتقرير هذه المنافاة من وجوه :

الأول : أن كل جسم حصلت فيه صورة فإنه لا يقبل صورة أخرى من جنس الصورة الأولى إلا بعد زوال الصورة الأولى زوالاً تاماً .. مثاله : أن الشمع إذا حصل فى شكل التثليث امتنع أن يحصل فيه شكل التربيع والتدوير إلا بعد زوال الشكل الأول عنه .. نعم إنَّا وجدنا الحال فى تصور النفس بصورة المعقولات بالضدِّ من ذلك ، فإن النفس التى لم تقبل صورة عقلية ألبتة يبعد قبولها شيئاً من الصور العقلية ، فإذا قبلت صورة واحدة صار قبولها للصور الثانية أسهل .. ثم إن النفس لا تزال تقبل صورة بعد صورة من غير أن تضعف أَلْبَتَّةَ ، بل كلما كان قبولها للصور أكثر صار قبولها للصور الآتية بعد ذلك أسهل وأسرع .. ولهذا السبب يزداد الإنسان فهماً وإدراكاً كلما ازداد تخرجاً وارتباطاً فى العلوم ، فثبت أن قبول النفس للصور العقلية على خلاف قبول الحسم للصورة ، وذلك يوهم أن النفس ليست بجسم .

الثانى : أن المواظبة على الأفكار الدقيقة لها أثر فى النفس وأثر فى البدن .. أما أثرها فى النفس فهو تأثيرها فى إخراج النفس من القوة إلى الفعل فى التعقلات والإدراكات ، وكلما كانت الأفكار أكثر كان حصول هذه الأحوال أكمل وذلك غاية كمالها ونهاية شرفها وجلالتها .. وأما أثرها فى البدن فهو أنها توجب استيلاء اليبس على البدن واستيلاء الذبول عليه .. وهذه الحالة لو استمرت لانتقلت إلى الماليخوليا[1] والموت .. **فثبت بما ذكرنا أن هذه الأفكار توجب** حياة النفس وشرفها ، وتوجب نقصان البدن وموته .. فلو كانت النفس هى البدن لصار الشئ الواحد سبباً لكماله ونقصانه معاً ولحياته وموته معاً .. وإنه محال .

الثالث : أنَّا إذا شاهدنا أنه ربما كان بدن الإنسان ضعيفاً نحيفاً ، فإذا لاح له نور من الأنوار القدسية وتجلى له سر من أسرار عالم الغيب حصل لذلك الإنسان جرأة عظيمة وسلطنة قوية .. ولم يعبأ بحضور أكابر السلاطين ولم يُقم لهم وزناً .. ولولا أن النفس شئ سوى البدن لما كان الأمر كذلك .

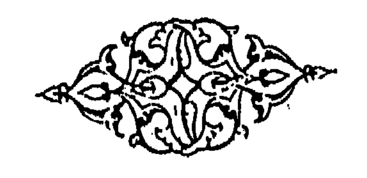
الرابع : أن أصحاب الرياضات والمجاهدات كلما أمعنوا فى قهر القوى البدنية وتجويع الجسد قويت قواهم الروحانية وأشرقت أسرارهم بالمعارف الإلهية .. وكلما أمعن الإنسان فى الأكل والشرب وقضاء الشهوة الجسدانية صار كالبهيمة وبقى محروماً عن آثار النطق والعقل والمعرفة ، ولولا أن النفس غير البدن لما كان الأمر كذلك .

---

(١) ذهاب العقل وفساده ؛ فهى مرض عقلى .

الخامس : أنَّا نرى أن النفس تفعل أفاعيلها بآلات بدنية ، فإنها تبصر بالعين ، وتسمع بالأذن ، وتأخذ باليد ، وتمشي بالرجل .. أما إذا آل الأمر إلى العقل والإدراك فإنها مستقلة بذاتها فى هذا الفعل من غير إعانة شيء من الآلات ، ولذلك فإن الإنسان لا يمكنه أن يبصر شيئاً إذا أغمض عينيه وأن لا يسمع صوتاً إذا سدَّ أذنيه .. كما لا يمكنه ألْبَتَّةَ أن يزيل عن قلبه العلم بما كان عالماً به .. فعلمنا أن النفس غنية بذاتها فى العلوم والمعارف عن شيء من الآلات البدنية .

فهذه الوجوه الخمسة أمارات قوية فى أن النفس ليست بجسم .. وفى المسألة الأولى كثير من دلائل المتقدمين .



ثانياً : الأدلـة السـمعية

المسألة السادسة : الدلائل السمعية فى إثبات أن النفس ليست بجسم

* **الحجـة الأولى :**

قوله تعالى : ﴿ **ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم** ﴾[1] .. ومعلوم أن أحداً من العقلاء لا ينسى هذا الهيكل المشاهد ، فدل ذلك على أن النفس التى ينساها الإنسان عند فرط الجهل شئ آخر غير هذا البدن .

* **الحجـة الثانية :**

قوله تعالى : ﴿ **أخرجوا أنفسكم** ﴾[2] . وهذا صريح أن النفس غير البدن .

* **الحجـة الثالثة :**

أنه تعالى ذكر مراتب الخلقة الجسمانية فقال : ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين** ﴾ إلى قوله : ﴿ **فكسونا العظام لحماً** ﴾[3] .. ولاشك أن جميع هذه

---

(1) الحشر : آية ١٩ .. وفيه دليل على أن النفس الإنسانية شئ غير هذا الهيكل ، وغير هذا الجسد .. وقالوا : لاشك أن قوله : ﴿ أخرجوا أنفسكم ﴾ معناه : أخرجوا أنفسكم من أجسادكم .. وهذا يدل على أن النفس مغايرة للأجساد . أهـ . الفخر الرازى ٧/٩٠ .

(2) الأنعام : آية ٩٣ .

(3) المؤمنون : آية ١٤ .

المراتب اختلافات واقعة فى الأحوال الجسمانية ، ثم إنه تعالى لما أراد أن يذكر نفخ الروح قال : ﴿ **ثم أنشأناه خلقاً آخر** ﴾[1] .. وهذا تصريح بأن ما يتعلق بالروح جنس مغاير لما سبق ذكره من التغيرات الواقعة فى الأحوال الجسمانية ، وذلك يدل على أن الروح شئ مغاير للبدن .. فإن قالوا : هذه الآية حجة عليكم لأنه تعالى قال : ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين** ﴾ وكلمة من للتبعيض ، وهذا يدل على أن الإنسان بعض من أبعاض الطين ، قلنا : كلمة «**مِنْ**» أصلها لابتداء الغاية ، كقولك خرجت من البصرة إلى الكوفة .. **فقوله تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ﴾ يقتضى أن يكون ابتداء تخليق الإنسان حاصلاً من هذه السلالة ، ونحن نقول بموجبه لأنه تعالى يسوى المزاج أولاً ثم ينفخ فيه الروح ، فيكون ابتداء تخليقه من السلالة .**

* **الحجـة الرابعة :**

قوله تعالى : ﴿ **فإذا سوَّيته ونفخت فيه من روحى** ﴾[2] ميز تعالى بين البشرية وبين نفخ الروح .. فالتسوية عبارة عن تخليق الأبعاض والأعضاء وتعديل المزاج والأشباح ، فلما ميَّز نفخ الروح عن تسوية الأعضاء ثم أضاف الروح إلى نفسه بقوله : ﴿ **من روحى** ﴾ .. دلّ ذلك على أن جوهر الروح معنى مغاير لجوهر الجسد .

---

(١) المؤمنون : آية ١٤ . (٢)الحجر : آية ٢٩ .

* **الحجة الخامسة :**

قوله تعالى : ﴿ **ونفس وما سوّاها . فألهمها فجورها وتقواها** ﴾[1] .. وهذه الآية صريحة فى وجود شىء موصوف بالإدراك والتحريك حقاً ، لأن الإلهام عبارة عن الإدراك .. وأما الفجور والتقوى فهو فعل .. وهذه الآية صريحة فى أن الإنسان شىء واحد وهو موصوف أيضاً بالإدراك والتحريك وموصوف أيضاً بفعل الفجور تارة وفعل التقوى تارة أخرى .. ومعلوم أن جملة البدن غير موصوف بهذين الوصفين .. فلابد من إثبات جوهر آخر يكون موصوفاً بكل هذه الأمور .

* **الحجة السادسة :**

قوله تعالى : ﴿ **إنّا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً** ﴾[2] .. فهذا تصريح بأن الإنسان شىء واحد ، وذلك الشىء هو المبتلى بالتكاليف الإلهية والأمور الربانية ، وهو الموصوف بالسمع والبصر .. ومجموع البدن ليس كذلك وليس عضواً من أعضاء البدن كذلك .. فالنفس شىء مغاير لجملة البدن ومغاير لأجزاء البدن وهو موصوف بكل هذه الصفات .

واعلم أن الأحاديث الواردة فى صفة الأرواح قبل تعلقها بالأجساد وبعد انفصالها من الأجساد كثيرة ، وكل ذلك يدل على أن النفس شىء غير هذا الجسد .. والعجب ممن يقرأ هذه الآيات الكثيرة ويروى هذه الأخبار الكثيرة ثم يقول : توفى رسول الله ﷺ وما كان يعرف الروح .. وهذا من العجائب .. والله أعلم .

---

(١) الشمس : آية ٧ .

(٢) الإنسان : آية ٢ .

دلالة الآيـة على صحـة ما ذُكر

المسألة السابعة : فى دلالة الآية التى نحن فى تفسيرها على صحة ما ذكرناه

إن الروح لو كان جسماً متنقلاً من حالة إلى حالة ومن صفة إلى صفة لكان مساوياً للبدن فى كونه متولداً من أجسام اتصفت بصفات مخصوصة بعد أن كانت موصوفة بصفات أخرى .

فإذا سُئل رسول الله ﷺ عن الروح وجب أن يبيِّن أنه جسم كان كذا ثم صار كذا حتى صار روحاً مثل ما ذكر فى كيفية تولد البدن ، أنه كان نطفة ثم علقة ثم مضغة ، فلما لم يقل ذلك ، بل قال : **إنه من أمر ربى** ، بمعنى أنه لا يحدث ولا يدخل فى الوجود إلا لأجل أن الله تعالى قال له : ﴿ **كن فيكون** ﴾[1] .. دلَّ ذلك على أنه جوهر ليس من جنس الأجسام بل هو جوهر قدسى مجرد .. واعلم أن أكثر العارفين المكاشفين من أصحاب الرياضات وأرباب المكاشفات والمشاهدات مصروُّن على هذا القول جازمون بهذا المذهب . قال الواسطى : خلق الله الأرواح من بين الجمال والبهاء ، فلولا أنه سترها لسجد لها كل كافر .

---

(١) بعض ثمانى آيات تضمنت هذا القول الكريم ﴿ **كن فيكون** ﴾ أولها على الترتيب سورة البقرة : آية ١١٧ ، وآخرها الآية رقم ٦٨ من سورة غافر .

أدلة من قال بأن الروح جسد .. والرد عليهم .. وتفنيد حججهم

واحتج المنكرون بوجوه :

● **الأول** : لو كانت مساوية لذات الله فى كونه ليس بجسم ولا عرض لكانت مساوية له فى تمام الماهية وذلك محال .

● **الثانى** : قوله تعالى : ﴿ **قُتل الإنسان ما أكفره . من أى شئ خلقه . من نطفة خلقه فقدَّره . ثم السبيل يسَّره . ثم أماته فأقبره . ثم إذا شاء أنشره** ﴾[1] .. وهذا تصريح بأن الإنسان شئ مخلوق من النطفة ، وأنه يموت ويدخل القبر ، ثم إنه تعالى يخرجه من القبر .. ولو لم يكن الإنسان عبارة عن هذه الجثة لم تكن الأحوال المذكورة فى هذه الآية صحيحة .

● **الثالث** : قوله : ﴿ **ولا تحسبن الذين قُتلوا فى سبيل الله** ﴾ إلى قوله : ﴿ **يرزقون فرحين** ﴾[2] .. وهذا يدل على أن الروح جسم لأن الإرزاق والفرح من صفات الأجسام .

* **الرد عليهم ودحض حججهم :**

● **الجواب عن الأول** : أن المساواة فى أنه ليس بمتحيِّز ولا حال فى المتحيز مساواة فى صفة سلبية .. والمساواة فى الصفة السلبية لا توجب المماثلة .

---

(١) عبس : اية ١٦ ، ٢٢ .

(٢) نهاية الآية رقم ١٦٩ وبداية الآية ١٧٠ من سورة آل عمران .

واعلم أن جماعة من الجهال يظنون أنه لما كان الروح موجوداً ليس بمتحيِّز ولا حال فى المتحيز وجب أن يكون مماثلاً للإله أو جزءاً للإله .. وذلك جهل فاحش وغلط قبيح .. وتحقيقه ما ذكرناه من أن المساواة فى السلوب لو أوجبت المماثلة لوجب القول باستواء كل المختلفات ، وأن كل ما هيتين مختلفتين فلابد أن يشتركا فى سلب كل ما عداهما .. فلتكن هذه الدقيقة معلومة فإنها مَغْلَطَة عظيمة للجهال .

• **الجواب عن الثانى** : والجواب عن الثانى أنه لما كان الإنسان فى العرف والظاهر عبارة عن هذه الجثة أطلق عليه اسم الإنسان فى العرف .

• **الجواب عن الثالث** : والجواب عن الثالث أن الرزق المذكور فى الآية محمول على ما يقوى حالهم ويكمل كالهم ، وهو معرفة الله ومحبته .. بل نقول هذا من أدلّ الدلائل على صحة قولنا ، لأن أبدانهم قد بليت تحت التراب ، والله تعالى . يقول إن أرواحهم تأوى إلى قناديل معلقة تحت العرش .. وهذا يدل على أن الروح غير البدن .

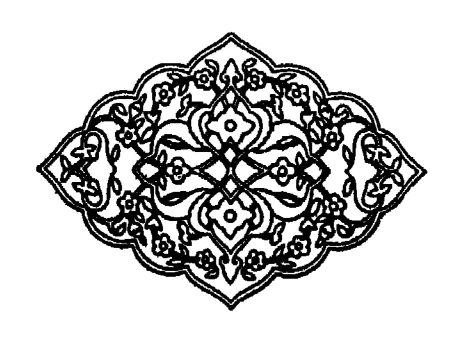
وليكن هذا آخر كلامنا فى هذا الباب .

أما قوله تعالى : ﴿ **وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً** ﴾ .. فقد ذكر المفسرون أن النبى ﷺ لما قال لهم ذلك قالوا : نحن مختصون بهذا الخطاب أم أنت معنا ؟

فقال ﷺ : « **بل نحن وأنتم لم نؤت من العلم إلا قليلاً** » .. فقالوا : ما أعجب شأنك يا محمد !! ساعة تقول : ﴿ **ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً** ﴾[1] .. وساعة تقول هذا !! فنزل قوله

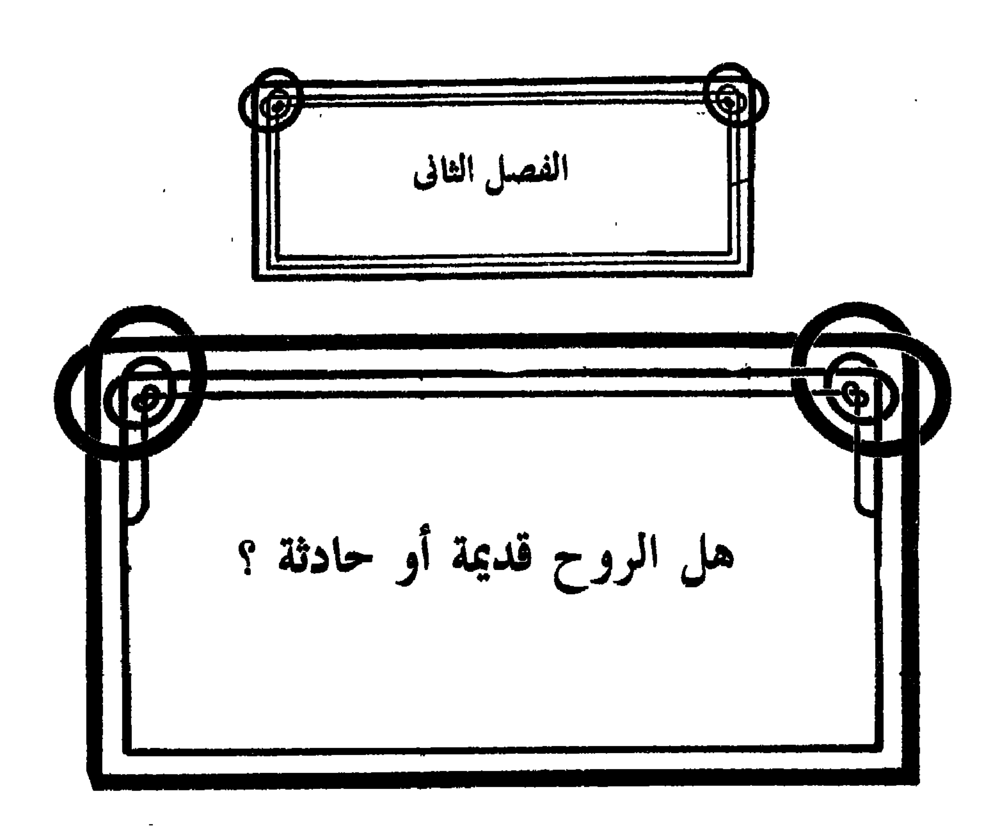
(١) البقرة : آية ٢٦٩ .

تعالى : ﴿ **ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام** ﴾[1] إلى آخره ..
وما ذكروه ليس بلازم ، لأن الشيء قد يكون قليلاً بالنسبة إلى شيء كثيراً بالنسبة إلى شيء آخر .. فالعلوم الحاصلة عند الناس قليلة جداً بالنسبة إلى علم الله وبالنسبة إلى حقائق الأشياء ، ولكنها كثيرة بالنسبة إلى الشهوات الجسمانية واللذات الجسدانية .



(١) لقمان : آية ٢٧ .





الفصل الثانى

هل الروح قديمة أو حادثة ؟

يأيتها النفس المطمئنة*

اعلم أن الله تعالى ذكر مطلق النفس فى القرآن فقال : ﴿ **ونفس وما سوَّاها** ﴾[1] ، وقال : ﴿ **تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك** ﴾[2] ، وقال : ﴿ **فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرَّة أعين** ﴾[3] .. وتارة وصفها بكونها أمارة بالسوء ، فقال : ﴿ **إن النفس لأمارة بالسوء** ﴾[4] ، وتارة بكونها لوَّامة فقال : ﴿ **بالنفس اللوامة** ﴾[5] وتارة بكونها مطمئنة كما فى هذه الآية .

واعلم أن نفس ذاتك وحقيقتك وهى التى تشير إليها بقولك (أنا) حين تخبر عن نفسك بقولك : فعلت ، ورأيت ، وسمعتُ ، وغضبتُ ، واشتهيتُ ، وتخيَّلْتُ ، وتذكرت ، إلا أن المشار إليه بهذه الإشارة ليس هو هذه البنية لوجهين :

الأول : أن المشارُ إليه بقولك (أنا) قد يكون معلوماً حال ما تكون هذه البنية المخصوصة غير معلومة .. والمعلوم غير ما هو غير معلوم .

الثانى : أن هذه البنية متبدلة الأجزاء ، والمشار إليه بقولك (أنا) غير متبدل .. فإنى أعلم بالضرورة أنى أنا الذى كنت موجوداً قبل هذا اليوم بعشرين سنة ، والمتبدل غير ما هو غير متبدل .. فإذاً ليست النفس عبارة عن هذه البنية .

(*) انظر تفسير هذه الآية من سورة الفجر رقم ٢٧ ، المجلد السادس عشر ، ص ١٧٨ .

(١) الشمس : اية ٧ .

(٢) المائدة : آية ١١٦ .

(٣) السجدة : آية ١٧ .

(٤) يوسف : آية ٥٣ .

(٥) القيامة : آية ٢ .

وتقول : قال قوم : إن النفس ليست بجسم لأنَّا نعقل المشار إليه بقول (أنا) حال ما أكون غافلاً عن الجسم الذى حقيقته المختص بالحيِّز الذاهب فى الطول والعرض والعمق .. والمعلوم مغاير لما ليس بمعلوم .

وقال آخرون : بل هو جوهر جسمانى لطيف صافٍ بعيد عن مشابهة الأجرام العنصرية ، نورانى سماوى مخالف بالماهية لهذه الأجسام السفلية .. فإذا صارت مشابكة لهذا البدن الكثيف صار البدن حياً ، وإن فارقته صار البدن ميتاً .

• هل النفوس أزلية ؟

من القدماء من زعم أن النفوس أزلية .. واحتجوا بهذه الآية وهى قوله تعالى : ﴿ ارجعى إلى ربك راضية مرضية ﴾ .. فإن هذا إنما يُقال لما كان موجوداً قبلُ هذا البدن .

واعلم أن هذا الكلام يتفرع على أن هذا الخطاب متى يوجد ؟ .. وفيه وجهان :

الأول : أنه إنما يوجد عند الموت .. وههنا تقوى حجة القائلين بتقدم الأرواح على الأجساد .. إلا أنه لا يلزم من تقدمها عليه قدمها .

الثانى : أنه إنما يوجد عند البعث والقيامة .. والمعنى : ارجعى إلى ثواب ربك ، فادخلى فى عبادى : أى ادخلى فى الجسد الذى خرجت منه .

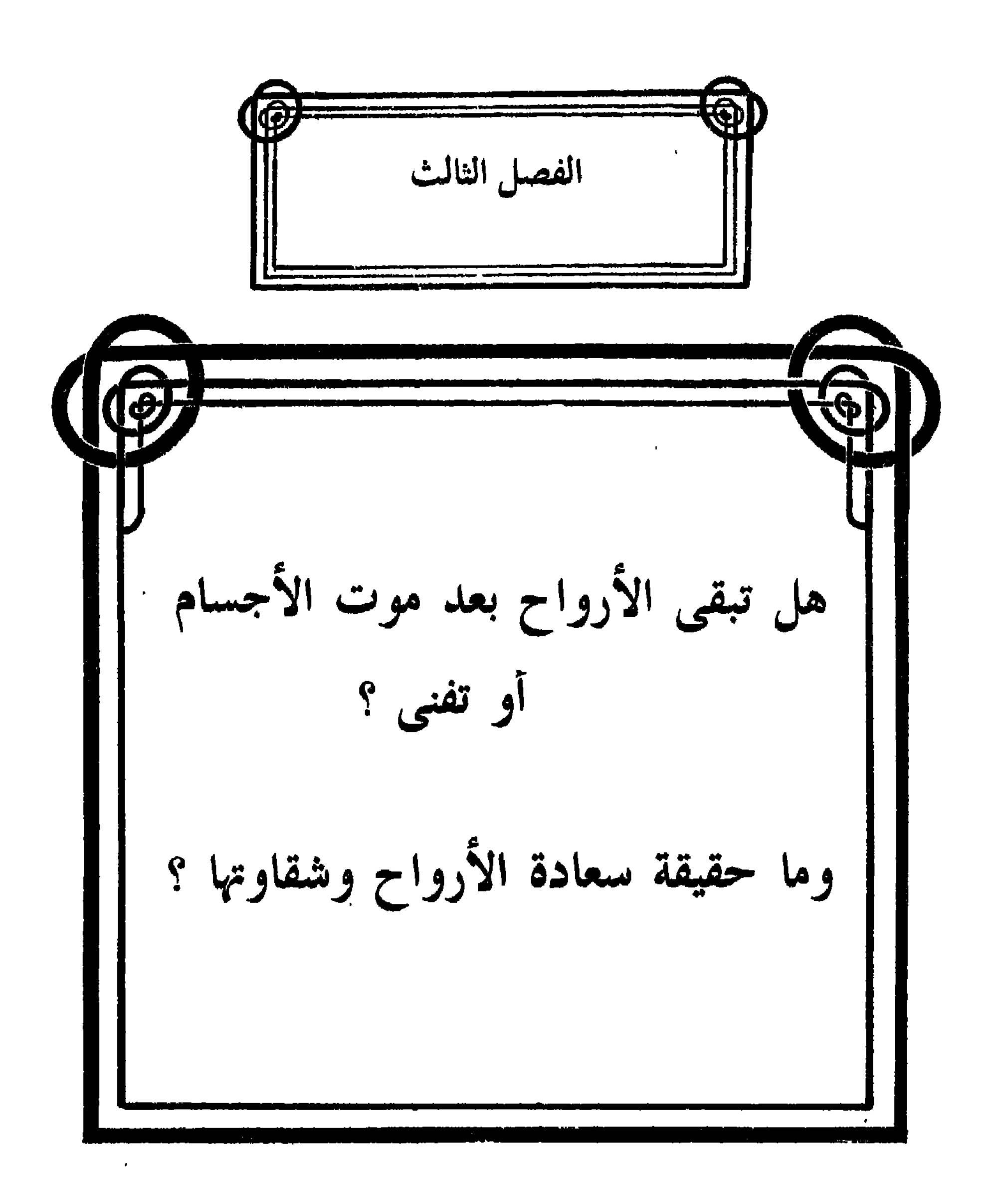
﴿ فادخلي في عبادي ﴾ :

أى انضمى إلى عبادى المقربين .. وهذه حالة شريفة ، وذلك لأن الأرواح الشريفة القدسية تكون كالمرايا المصقولة .. فإذا انضم بعضها إلي البعض حصلت فيما بينها حالة شبيهة بالحالة الحاصلة عند تقابل المرايا المصقولة من انعكاس الأشعة من بعضها على بعض ، فيظهر فى كل واحد منها كل ما ظهر فى كلها .. وبالجملة فيكون ذلك الإنضمام سبباً لتكامل تلك السعادات ، وتعاظم تلك الدرجات الروحانية .. وهذا هو المراد من قوله تعالى : ﴿ **وأما إن كان من أصحاب اليمين ، فسلام لك من أصحاب اليمين** ﴾[1] .. وذلك هو السعادة الروحانية .

ثم قال : ﴿ **وادخلي جنتي** ﴾ ، وهذا إشارة إلى السعادة الجسمانية .. ولما كانت الجنة الروحانية غير متراخية عند الموت فى حق السعداء ، لا جرم قال : ﴿ **فادخلي فى عبادى** ﴾ فذكر بفاء التعقيب .. ولما كانت الجنة الجسمانية لا يحصل الفوز بها إلا بعد قيام القيامة الكبرى ، لا جرم قال : ﴿ **وادخلي جنتي** ﴾ فذكره بالواو لا الفاء .. والله سبحانه وتعالى أعلم .

---

(١) الواقعة : آية ٩٠ ــ ٩١



الفصل الثالث

هل تبقى الأرواح بعد موت الأجسام أو تفنى ؟

وما حقيقة سعادة الأرواح وشقاوتها ؟

﴿ ... بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾

فى قوله تعالى : ﴿ ولا تحسبنَّ الذين قُتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يُرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يَلْحقوا بهم من خلفهم ألَّا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾[1] .

يقول الإمام :

اعلم أن ظاهر الآية يدل على كون هؤلاء المقتولين أحياء .. فإما أن يكون المراد منه حقيقة أو مجازاً .. فإن كان المراد منه هو الحقيقة ، فإما أن يكون المراد أنهم سيصيرون فى الآخرة أحياء ، أو المراد أنهم أحياء فى الحال .. وبتقدير أن يكون هذا هو المراد ، فإما أن يكون المراد إثبات الحياة الروحانية أو إثبات الحياة الجسمانية ، فهذا ضبط الوجوه التى يمكن ذكرها فى هذه الآية :

- **الاحتمال الأول : أنهم سيصيرون فى الآخرة أحياء :**

وقد ذهب إليه جماعة من متكلمى المعتزلة ، منهم أبو القاسم الكعبى قال : وذلك لأن المنافقين الذين حكى الله عنهم ما حكى كانوا يقولون : أصحاب محمد ﷺ يعرضون أنفسهم للقتل فيُقتلون ويخسرون الحياة ولا يصلون إلى خير ، وإنما كانوا يقولون ذلك لجحدهم البعث والميعاد .. فكذبهم الله تعالى وبيَّن بهذه الآية أنهم يبعثون ويرزقون ويوصل إليهم أنواع الفرح والسرور والبشارة .

- **بطلان قول المعتزلة :**

واعلم أن هذا القول عندنا باطل .. ويدل عليه وجوه :

(١) آل عمران : آية ١٦٩ ــ ١٧٠ .

* **الحجة الأولى** : أن قوله ﴿ **بل أحياء** ﴾ ظاهر يدل على كونهم أحياء عند نزول الآية ، فحمله على أنهم سيصيرون أحياء بعد ذلك عدول عن الظاهر .

* **الحجة الثانية** : أنه لاشك أن جانب الرحمة والفضل والإحسان أرجح من جانب العذاب والعقوبة .. ثم إنه تعالى ذكر فى أهل العذاب أنه أحياهم قبل القيامة لأجل التعذيب ، فإنه تعالى قال : ﴿ **أغرقوا فأدخلوا ناراً** ﴾[1] والفاء للتعقيب . والتعذيب مشروط بالحياة .. وأيضاً قال تعالى : ﴿ **النار يعرضون عليها غدواً وعشياً** ﴾[2] . وإذا جعل الله أهل العذاب أحياء قبل قيام القيامة لأجل التعذيب ، فلأن يجعل أهل الثواب أحياء قبل القيامة لأجل الإحسان والإثابة كان ذلك أوْلى .

* **الحجة الثالثة: أنه لو أراد أنه سيجعلهم أحياء عند البعث فى الجنة لما** قال للرسول ﷺ : ﴿ **ولا تحسبنَّ** ﴾ مع علمه بأن جميع المؤمنين كذلك .

أما إذا حملناه على ثواب القبر حسن قوله : ﴿ **ولا تحسبنَّ** ﴾ لأنه ﷺ لعله ما كان يعلم أنه تعالى يشرف المطيعين والمخلصين بهذا التشريف ، وهو أنه يحييهم قبل قيام القيامة لأجل إيصال الثواب إليهم .

فإن قيل : إنه ﷺ وإن كان عالماً بأنهم سيصيرون أحياء عند ربهم عند البعث ولكنه غير عالم بأنهم من أهل الجنة ، فجاز أن يبشره الله بأنهم سيصيرون أحياء ويصلون إلى الثواب والسرور .

قلنا : قوله : ﴿ **ولا تحسبن** ﴾ إنما يتناول الموت لأنه قال : ﴿ **ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا** ﴾ .. فالذى يزيل هذا

---

(١) نوح : آية ٢٥ .
(٢) غافر : آية ٤٦ .

الحسبان هو كونهم أحياء فى الحال ، لأنه لا حسبان هناك فى صيرورتهم أحياء يوم القيامة ، وقوله : ﴿ **يرزقون فرحين** ﴾ فهو خبر مبتدأ ولا تعلق له بذلك الحسبان ، فزال هذا السؤال .

* **الحجة الرابعة : قوله تعالى ﴿ ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ﴾** والقوم الذين لم يلحقوا بهم لابد وأن يكونوا فى الدنيا .. فاستبشارهم بمن يكون فى الدنيا لابد وأن يكون قبل القيامة .. والاستبشار لابد وأن يكون مع الحياة .. فدل هذا على كونهم أحياء قبل يوم القيامة .

* **الحجة الخامسة** : ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال فى صفة الشهداء : « **أن أرواحهم فى أجواف طير خضر ، وأنها ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها ، وتسرح حيث شاءت ، وتأوى إلى قناديل من ذهب تحت العرش ، فلما رأوا طيب مسكنهم ومطعمهم ومشربهم قالوا : ياليت قومنا يعلمون ما نحن فيه من النعيم وما صنع الله بنا كى يرغبوا فى الجهاد ، فقال الله تعالى : أنا مخبر عنكم ومبلّغ إخوانكم ، ففرحوا بذلك واستبشروا .. فأنزل الله تعالى هذه الآية** »[1] .

وسئل ابن مسعود رضى الله عنه عن هذه الآية فقال : سألنا عنها ، فقيل لنا : إن الشهداء على نهر بباب الجنة فى قبة خضراء ، وفى رواية : فى روضة خضراء .

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما : قال : قال رسول الله ﷺ : « **ألا أبشرك أن أباك حيث أصيب بأُحد أحياه الله ثم قال : ما تريد ياعبد الله بن عمرو أن أفعل بك ؟ فقال : يارب أحب أن**

---

(١) أخرجه الترمذى بنحوه فى كتاب التفسير من حديث عبد الله بن مسعود ، ومسلم فى كتاب الإمارة حديث رقم ١٢١ ، وابن ماجد فى كتاب الجهاد وحديث رقم ٢٨٠١ . وأحمد فى مسندة ٢٦٦/١ من حديث عبد الله بن عباس .

تردنى إلى الدنيا فأقتل فيك مرة أخرى »[1] .. والروايات فى هذا الباب كأنها بلغت حد التواتر ، فكيف يمكن إنكارها ؟!!

- **الاحتمال الثانى : أن الشهداء سيصيرون أحياءً فى الحال :**

وأما الوجه الثانى من الوجوه المحتملة فى هذه الآية هو أن المراد أن الشهداء أحياء فى الحال .. والقائلون بهذا القول منهم من أثبت هذه الحياة للروح ، ومنهم من أثبتها للبدن . وقبل الخوض فى هذا الباب يجب تقديم مقدمة :

وهى أن الإنسان ليس عبارة عن مجموع هذه البنْية .. ويدل عليه أمران :

أحدهما : أن آجزاء هذه البنية فى الذوبان والانحلال والتبدل .. والإنسان المخصوص شيء باقٍ من أول عمره إلى آخره .. والباقى مغاير للمتبدل .. والذى يؤكد ما قلناه : أنه تارة يصير سميناً وأخرى هزيلاً ، وأنه يكون فى أول الأمر صغير الجثة ثم إنه يكبر وينمو .. ولاشك أن كل إنسان يجد من نفسه أنه شيء واحد من أول عمره إلى آخره ، فصح ما قلناه .

الثانى : أن الإنسان قد يكون عالماً بنفسه حال ما يكون غافلاً عن جميع أعضائه وأجزائه .. والمعلوم مغاير لما ليس بمعلوم ..

فثبت بهذين الوجهين أنه شيء مغاير لهذا البدن المحسوس .

ثم بعد ذلك يحتمل أن يكون جسماً مخصوصاً سارياً فى هذه الجثة سريان النار فى الفحم ، والدهن فى السمنسم ، وماء الورد فى الورد ..

---

(١) أخرجه بنحوه الترمذى فى كتاب التفسير ، وابن ماجه فى كتاب الجهاد حديث رقم ٢٨٠٠ .

ويحتمل أن يكون جوهراً قائماً بنفسه ليس بجسم ولا حال فى الجسم .

وعلى كلا المذهبين فإنه لا يبعد أنه لما مات البدن انفصل ذلك الشيء حياً ، وإن قلنا : إنه أماته الله إلا أنه تعالى يعيد الحياة إليه .. وعلى هذا التقدير تزول الشبهات بالكلية عن ثواب القبر كما فى هذه الآية ، وعن عذاب القبر كما فى قوله : ﴿ **أُغرقوا فأُدخلوا ناراً** ﴾ .

فثبت بما ذكرناه أنه لا امتناع فى ذلك ، فظاهر الآية دال عليه ، فوجب المصير إليه .

● **الدليل على ما ذكرنا :**

والذى يؤكد ما ذكرناه : القرآن والحديث والعقل :

* **أما القرآن** : فآيات .. إحداها : ﴿ **يأيتها النفس المطمئنة إرجعى إلى ربك راضية مرضية . فادخلى فى عبادى . وادخلى جنتى** ﴾[1] .. ولاشك أن المراد من قوله : ﴿ **ارجعى إلى ربك** ﴾ الموت .. ثم قال : ﴿ **فادخلى فى عبادى** ﴾ وفاء التعقيب تدل على أن حصول هذه الحالة يكون عقيب الموت .. وهذا يدل على ما ذكرناه .

وثانيها : ﴿ **حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لايفرطون** ﴾[2] .. وهذا عبارة عن موت البدن .

ثم قال : ﴿ **ثم رُدوا إلى الله مولاهم الحق** ﴾[3] ... فقوله : ﴿ **رُدوا** ﴾ ضمير عنه .. وإنما هو بحياته وذاته المخصوصة ، فدل على أن ذلك باقٍ بعد موت البدن .

---

(١) الفجر : الآيات من ٢٧ - ٣٠ .

(٢) الأنعام : آية ٦١ .

(٣) بعض الآية رقم ٦٢ من سورة الأنعام .

وثالثها : قوله : ﴿ **فأما إن كان من المقربين . فروح وريْحان وجنة نعيم** ﴾[1] وفاء التعقيب تدل على أن هذا الروح والرَّيْحان والجنة حاصل عقيب الموت .

* **وأما الخبر** : فقوله ﷺ : « **من مات فقد قامت قيامته** »[2] .. والفاء فاء التعقيب تدل على أن قيامة كل أحد حاصلة بعد موته .. وأما القيامة الكبرى فهى حاصلة فى الوقت المعلوم عند الله .

وأيضاً قوله ﷺ : « **القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حُفر النار** »[3] . وأيضاً رُوى أنه ﷺ يوم بدر كان ينادى المقتولين ويقول : « **هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ؟** » فقيل له : يا رسول الله ، إنهم أموات ، فكيف تناديهم؟ فقال ﷺ : « **إنهم أسمع منكم** »[4] أو لفظاً هذا معناه .

وأيضاً قال ﷺ : « **أولياء الله لا يموتون ولكن ينقلون من دار إلى دار** »[5] وكل ذلك يدل على أن النفوس باقية بعد موت الجسد .

* **وأما المعقول : فمن وجوه :**

الأول : وهو أن وقت النوم يضعف البدن .. وضعفه لا يقتضى ضعف النفس .. بل النفس تقوى وقت النوم فتشاهد الأحوال وتطلع

---

(١) الواقعة : الآيتان ٨٨ - ٨٩ .
(٢) سبق تخريجه .
(٣) سبق تخريجه .
(٤) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الجنائز باب « ماجاء فى عذاب القبر » بلفظ « ماأنتم بأسمع منهم » . وأحمد فى مسنده ٦/٢٧٦ .
(٥) سبق تخريجه .

على المغيبات .. فإذا كان ضعف البدن لا يوجب ضعف النفس ، فهذا يقوى الظن فى أن موت البدن لا يستعقب موت النفس .

الثانى : وهو أن كثرة الأفكار سبب لجفاف الدماغ ، وجفافه يؤدى إلى الموت .. وهذه الأفكار سبب لا ستكمال النفس بالمعارف الإلهية ، وهو غاية كمال النفس .. فما هو سبب فى كمال النفس فهو سبب لنقصان البدن ، وهذا يقوّى الظن فى أن النفس لا تموت بموت البدن .

الثالث : أن أحوال النفس على ضدّ أحوال البدن .. وذلك لأن النفس إنما تفرح وتبتهج بالمعارف الإلهية .. والدليل عليه قوله تعالى : ﴿ **ألا بذكر الله تطمئن القلوب** ﴾[1] .. وقال ﷺ : « **أبيتُ عند ربى يطعمنى ويسقينى** »[2] .. ولاشك أن ذلك الطعام والشراب ليس إلا عبارة عن المعرفة والمحبة والاستنارة بأنوار عالم الغيب ، وأيضاً فإنَّا نرى أن الإنسان إذا غلب عليه الاستبشار بخدمة سلطان ، أو بالفوز بمنصب ، أو بالوصول إلى معشوقه ، قد ينسى الطعام والشراب ، بل يصير بحيث إذا دُعِىَ إلى الأكل والشرب لوجد من قلبه نفرة شديدة منه .. والعارفون المتوغّلون فى معرفة الله تعالى قد يجدون من أنفسهم أنهم إذا لاح لهم شىء من تلك الأنوار وانكشف لهم شىء من تلك الأسرار ، لم يحسُّوا ألْبَتَّةَ بالجوع والعطش .. وبالجملة فالسعادة النفسانية كالمضادة للسعاة الجسمانية .. وكل ذلك يغلب على الظن أن النفس مستقلة بذاتها ولا تعلق لها بالبدن .. وإذا كان كذلك وجب ألا تموت النفس بموت البدن .. ولتكن هذه الإقناعات كافية فى هذا المقام .

---

(١) الرعد : اية ٢٨ .

(٢) رواه الشيخان بلفظ « إنى أبيت يطعمنى ربى ويسقين » انظر مسلم ، كتاب الصيام ، باب « النهى عن الوصال فى الصوم » والبخارى ، كتاب الصوم باب : « التنكيل لمن أكثر الوصال » .

واعلم أنه متى تقررت هذه القاعدة زالت الإشكالات والشبهات عن كل ما ورد فى القرآن من ثواب القبر وعذابه .. وإذا عرفت هذه القاعدة فنقول :

قال بعض المفسرين : أرواح الشهداء أحياء وهى تركع وتسجد كل ليلة تحت العرش إلى يوم القيامة .. والدليل عليه ما رُوى أن النبى ﷺ قال : « **إذا نام العبد فى سجوده باهى الله تعالى به ملائكته ، ويقول : انظروا إلى عبدى روحه عندى وجسده فى خدمتى** » .

واعلم أن الآية دالة على ذلك وهى قوله ﴿ **أحياء عند ربهم** ﴾ .. ولفظ (عند) فكما أنه مذكور ههنا فكذا فى صفة الملائكة مذكور وهو قوله : ﴿ **ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته** ﴾[1] .. فإذا فهمت السعادة الحاصلة للملائكة بكونهم عند الله ، فهمت السعادة الحاصلة للشهداء بكونهم عند الله .. وهذه الكلمات تفتح على العقل أبواب معارف الآخرة .

- **الاحتمال الثالث : إثبات الحياة للأجساد :**

وأما الوجه الثالث فى تفسير هذه الآية عند من يثبت هذه الحياة للأجساد .. والقائلون بهذا القول اختلفوا : فقال بعضهم : **إنه تعالى** يصعد أجساد هؤلاء الشهداء إلى السموات وإلى قناديل تحت العرش ، ويوصل أنواع السعادة والكرامات إليها . ومنهم من قال : يتركها فى الأرض ويحييها ويوصل هذه السعادات إليها ..

---

(١) الأنبياء : آية ١٩ .

* بيان ضعف هذا الاحتمال :

ومن الناس من طعن فيه ، وقال : إنَّا نرى أجساد هؤلاء قد تأكلها السباع .. فإما أن يُقال : إن الله تعالى يحييها حال كونها فى بطون هذه السباع ويوصل الثواب إليها .. أو يُقال : إن تلك الأجزاء بعد انفصالها من بطون السباع يركبها الله تعالى ، ويؤلفها ويرد الحياة إليها ويوصل الثواب إليها .. وكل ذلك مستبعد ، ولأنَّا قد نرى الميت المقتول باقياً أياماً إلى أن تتفسخ أعضاؤه وينفصل القيح والصديد .. فإن جوَّزنا كونها حيَّة متنعمة عاقلة عارفة لزم القول بالسفسطة .

• الاحتمال الرابع : القول بالمجاز :

أما الاحتمال الرابع فى تفسير هذه الآية أن نقول : ليس المراد من كونهم أحياء حصول الحياة فيهم .. بل المراد بعض المجازات .. وبيانه من وجوه :

الأول : قال الأصم البلخى : إن الميت إذا كان عظيم المنزلة فى الدين ، وكانت عاقبته يوم القيامة البهجة والسعادة والكرامة ، صح أن يُقال : إنه حى وليس بميت .. كما يُقال فى الجاهل الذى لا ينفع نفسه ولا ينتفع به أحد : إنه ميت وليس بحى .. وكما يُقال للبليد : إنه حمار ، وللمؤذى : إنه سبع .

ورُوى أن عبد الملك بن مروان لما رأى الزهرى وعلم فقهه وتحقيقه قال له : ما مات من خلف مثلك .

وبالجملة فلاشك أن الإنسان إذا مات وخلف ثناء جميلاً حسنا ، فإنه يُقال على سبيل المجاز : إنه ما مات بل هو حى .

الثانى : قال بعضهم : مجاز هذه الحياة أن أجسادهم باقية فى

قبورهم ، وأنها لا تبلى تحت الأرض آلبتة .. واحتج هؤلاء بما روى أنه لما أراد معاوية أن يجرى العين على قبور الشهداء ، أمر بأن يُنادى : من كان له قتيل فليخْرجه من هذا الموضع .. قال جابر : فخرجنا إليهم فأخرجناهم رطاب الأبدان ، فأصابت المسحاة أصبع رجل منهم فقطرت دماً[1]

والثالث : أن المراد بكونهم أحياء أنهم لا يُغسلون كما تُغسل الأموات .. فهذا مجموع ما قيل فى هذه الآية والله أعلم بأسرار المخلوقات .

---

(١) وقريب منه ، ما رواه مالك فى الموطأ كتاب الجهاد حديث رقم ٤٩ ، عن عبدالرحمن بن أبى صعصعة ، أنه بلغه أن عمرو بن الجموح وعبدالله بن عمرو الانصاريين ، ثم السلميين ، كانا قد حفر السيل قبرهما ، وكان قبرهما مما يلى السيل ، وكانا فى قبر واحد ، وهما ممن استشهد يوم أحد ، فحُفر عنهما ليغيرا من مكانهما ، فوُجدا لم يتغيرا ، كأنهما ماتا بالأمس . وكان أحدهما قد جُرح ، فوضع يده على جرحه ، فدُفن وهو كذلك فأميطت يده عن جرحه ، ثم أرسلت ، فرجعت كما كانت ، وكان بين أحد وبين يوم حُفر عنهما ست وأربعون سنة .

﴿ النار يُعرضون عليها غدواً وعشياً ، ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشدَّ العذاب ﴾

(غافر : آية ٤٦) .

احتج أصحابنا بهذه الآية على إثبات عذاب القبر .. قالوا : الآية تقتضى عرض النار عليهم غدواً وعشياً ، وليس المراد منه يوم القيامة ، لأنه قال : ﴿ **ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب** ﴾

وليس المراد منه أيضاً الدنيا لأن عرض النار عليهم غدواً وعشياً ما كان حاصلاً فى الدنيا .. فثبت أن هذا العرض إنما حصل بعد الموت وقبل القيامة ، وذلك يدل على إثبات عذاب القبر فى حق هؤلاء ، وإذا ثبت فى حقهم ثبت فى حق غيرهم ، لأنه لا قائل بالفرق .

مَنْ قال : إن المراد من ذلك الترغيب والترهيب فقط :

فإن قيل : لم لا يجوز أن يكون المراد من عرض النار عليهم غدواً وعشياً عرض النصائح عليهم فى الدنيا ؟ لأن أهل الدين إذا ذكروا لهم الترغيب والترهيب وخوَّفوهم بعذاب الله فقد عرضوا عليهم النار ، ثم نقول فى الآية ما يمنع من حمله على عذاب القبر وبيانه من وجهين :

الأول : أن ذلك العذاب يجب أن يكون دائماً غير منقطع ، وقوله : ﴿ **يُعرضون عليها غدواً وعشياً** ﴾ يقتضى أن لا يحصل ذلك العذاب إلا فى هذين الوقتين ، فثبت أن هذا لا يمكن حمله على عذاب القبر .

الثانى : أن الغدوة والعشية إنما يحصلان فى الدنيا ، أما فى القبر

فلا وجود لهما .. فثبت بهذين الوجهين أنه لا يمكن حمل هذه الآية على عذاب القبر .

إبطال هذا الرأى والرد عليه :

والجواب على السؤال الأول : أن فى الدنيا عرض عليهم كلمات تذكرهم أمر النار ، لا أنه يعرض عليهم نفس النار .. فعلى قولهم يصير معنى الآية الكلمات المذكورة لأمر النار كانت تعرض عليهم ، وذلك يفضى إلى ترك ظاهر اللفظ والعدول إلى المجاز .

أما قوله : الآية تدل على حصول العذاب فى هذين الوقتين وذلك لا يجوز ، قلنا : لم لا يجوز أن يكتفى فى القبر بإيصال العذاب إليه فى هذين الوقتين ، ثم عند قيام القيامة يُلقى فى النار فيدوم عذابه بعد ذلك ؟! .. وأيضاً لا يمتنع أن يكون ذكر الغدوة والعشية كناية عن الدوام ، كقوله : ﴿ **ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً** ﴾[1] .

أما قوله إنه ليس فى القبر والقيامة غدوة وعشياً ، قلنا : لم لا يجوز أن يُقال إن عند حصول هذين الوقتين لأهل الدنيا يعرض عليهم العذاب ؟!! .. والله أعلم .



(١) مريم : آية ٦٢ .

﴿ أُغْرِقوا فأُدخلوا ناراً ﴾

(نوح : آية ٢٥)

تمسك أصحابنا فى إثبات عذاب القبر بقوله : ﴿ أُغرِقوا فأُدخلوا ناراً ﴾ .. وذلك من وجهين :

الأول : أن الفاء فى قوله : ﴿ فأُدخلوا ناراً ﴾ تدل على أنه حصلت تلك الحالة عقيب الإغراق ، فلا يمكن حملها على عذاب الآخرة ، وإلا بطلت دلالة الفاء .

الثانى : أنه قال : ﴿ فأُدخلوا ﴾ على سبيل الإخبار عن الماضى ، وهذا إنما يصدق لو وقع ذلك .

قال مقاتل والكلبى : معناه أنهم سيدخلون فى الآخرة ناراً ، ثم عبَّر عن المستقبل بلفظ الماضى لصحة كونه وصدق الوعد به كقوله : ﴿ ونادى أصحاب النار ﴾[1] ﴿ ونادى أصحاب الجنة ﴾[2] .

واعلم أن الذى قالوه ترك للظاهر من غير دليل .. فإن قيل إنما تركنا هذا الظاهر لدليل ، وهو أن من مات فى الماء ، فإنَّا نشاهده هناك ، فكيف يمكن أن يُقال إنهم فى تلك الساعة أُدخلوا ناراً ؟

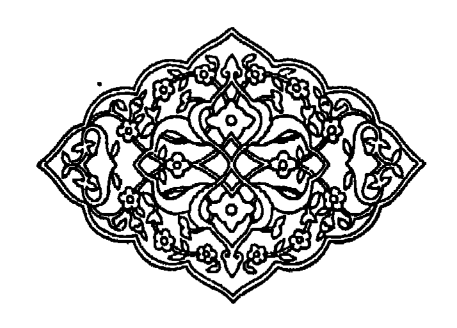
والجواب : هذا الإشكال إنما جاء لاعتقاد أن الإنسان هو مجموع هذا الهيكل ، وهذا خطأ لما بيَّنا أن هذا الإنسان هو الذى كان موجوداً

---

(١) الأعراف : آية : ٥٠ .

(٢) الأعراف : آية : ٤٤ .

من أول عمره ، مع أنه كان صغير الجثة فى أول عمره .. ثم إن أجزاءه دائماً فى التحلل والذوبان ، ومعلوم أن الباقى غير المتبدل .. فهذا الإنسان عبارة عن ذلك الشئ الذى هو باقٍ من أول عمره إلى الآن ، فلم لا يجوز أن يُقال إنه وإن بقيت هذه الجثة فى الماء إلا أن الله تعالى نقل تلك الأجزاء الأصلية الباقية التى كان الإنسان المعين عبارة عنها إلى النار والعذاب ؟!!





مع الإمــام الآلوســـى

صــاحب روح المعانــى فى تفســير القــرآن والسبع المثانى

مرجعنا فى الدراسة التى نقدمها لك هو :

روح المعانى فى تفسير القرآن ، والسبع المثانى

ومؤلفه هو : خاتمة المحققين ، وعمدة المدققين ، وإمام المفسرين ، أبو الثناء : شهاب الدين : السيد الإمام : محمود بن عبد الله الآلوسى[1] البغدادى ، الحنفى[2] مفتى بغداد ، وعالمها فى القرن الثالث عشر الهجرى .

ولد سنة سبع عشرة ومائتين بعد الألف من الهجرة ، فى جانب الكرخ من بغداد .

نبغ فى العلوم من صغره ، وأخذ عن كثير من فحول علماء عصره منهم والده ، والشيخ خالد النقشبندى ، واشتغل بالتدريس ، والتأليف وهو ابن ثلاث عشرة ، وقد تتلمذ عليه كثيرون ، وتخرج على يديه بعض العلماء الفضلاء من بلاد مختلفة ، ولما تولى الإفتاء شرع يدرس كل العلوم فى داره ، بجوار جامع الشيخ عبد الله العاقولى بالرصافة ، وقد ساعده على ذلك : نبوغه فى علوم شتى ، وجمع إلى العلم النقلى ، والعقلى الأدب وفنونه ، فمن ثم عرف بجزالة التعبير ، وسلاسة الأسلوب ، وحسن التصرف فى القول ، وبروحه اللطيفة الفكهة ، ومن تعبيراته اللطيفة التى لاتخلو من الفكاهة ، تسميته للحروف الزائدة بأنها : « سيف خطيب » ، وعن النكات البلاغية بأنها : « كالوردة » ، إن دعكتها أزلت مافيها من رائحة وجمال .

---

(١) نسبة إلى « آلوس » جزيرة فى نهر الفرات بين بغداد والشام ، كانت موطن أهله وأجداده .

(٢) لست مع الذين يقولون : إنه كان شافعياً ويقلد أبا حنيفة فى كثير من المسائل ، فكتابه التفسير طافح بقوله : وعندنا .. ثم يسوق مذهب الحنفية .

ولم يترك لنا من المؤَلفات كثيراً ، على ما كان يمتاز به من التبحر فى كل علم ، وفن ، وسعة الاطلاع ، وإجادة الاختيار والاختصار ومن مؤلفاته : شرح السلم فى المنطق ، وقد فقد ، و « الأجوبة العراقية عن الأسئلة الاهورية » ، و « الأجوبة العراقية على الأسئلة الإيرانية » ، و « النفحات القدسية فى المباحث الإمامية » ، و « الفوائد السنية فى علم آداب البحث » ، وبحسبه « روح المعانى » ، الذى اشتمل على مباحث : بعضها يصل إلى رسالة صغيرة ، وكانت وفاته بعد هذه الحياة العلمية المباركة ، عام سبعين ومائتين وألف بعد الهجرة ، فرضى الله عنه وأرضاه .

منهجه فى تفسيره وقيمته العلمية

وتفسير « روح المعانى » خير تفسير ، وأجمعه ، وأوفاه ، وقد جمع فيه خلاصة كل كتب التفاسير قبله وحواشيها ، ولا سيما حاشية : تفسير الكشاف ، وحاشية الشهاب الخفاجى ، على تفسير البيضاوى ، وقد حل بعض رموزها ، وعباراتها الخفية التى استعصى فهم المراد منها على العلماء ، وله استدراكات قيمة ، وتعقبات دقيقة لمن سبقه من العلماء .

وكثيراً ما يدلى برأيه بين الآراء ، فهو ليس مجرد ناقل ، بل له شخصيته العلمية البارزة ، وأفكاره النيرة ، وليس فى تفسيره ما يؤاخذ عليه ، إلا كثرة الاستطرادات ، والتوسع فيما يستطرد إليه ، حتى يكاد يغرق القارىء لكتابه فى بحر هذه الاستدراكات ، ولو أن أحداً نزع ما استطرد إليه من كتابه ، لجاءت فى رسائل كثيرة ، وكذلك :

ذكره للتفسير الإشارى ، فليس ثمة ما يدعو إليه ، ولعله فعل ذلك لنزعة تصوفية ، وليجىء كتابه جامعاً لكل الألوان التفسيرية ، ومرضياً لجميع الأذواق .

ولما كان الإمام الآلوسى من المتأخرين ، وكانت له مشاركة علمية فى كثير من العلوم ، وسعة إطلاع على كلام من سبقوه ، ولاسيما علماء الحديث ، وأئمته العارفين بمتونه ، وأسانيده — فمن ثم : لم يقع فيما وقع فيه بعض المفسرين السابقين له من ذكر الأحاديث الموضوعة فى الفضائل ، وغيرها ، وكذلك خلا تفسيره من الاغترار بالإسرائيليات وهو إنما ذكرها لينبه إلى اختلاقها ، وبطلانها وتحذير المسلمين ولاسيما طلبة العلم وأهله من التصديق بها ، أو أن لها أصلاً فى الإسلام ، ولم أعلم أحداً من المفسرين ، بعد العلّامة الحافظ ابن كثير فى تفسيره ، حارب الإسرائيليات ، والموضوعات ، مثل ما فعل الإمام الآلوسى ، فى تفسيره ، فقد أفاض فى رد هذه الإسرائيليات والمختلقات ، كما صنع فى قصة إسماعيل ، وإسحاق ، وأيهما الذبيح ؟ ، وبيان أن كونه إسحاق رأى باطل ، تدسس إلى الرواية الإسلامية ، وفى قصة يوسف ، وداود ، وسليمان ، وأيوب ونحوها وقصة الغرانيق .. وقد مكث هذا الإمام فى تأليف كتابه خمس عشرة سنة[1] ، بحث ، ونقب ، وقرأ ، واختصر ، وسهر فيه الليالى الطوال ، وكان كثيراً ما ينشد ، وحق له ذلك :

سهرى لتنقيح العلوم ألذ لى من وصل غانية وطيب عناق
وتمايلى طرباً لحل عويصة أشهى ، وأحسن من مدام الساقى
وألذ من نقر الفتاة لدفها نقرى لدفع الرمل عن أوراقى[2]

---

(١) ابتدأ تأليفه فى رجب سنة ١٢٥٢ هـ وفرغ منه فى ربيع الآخر سنة ١٢٦٧ هـ أى قبل وفاته بنحو ثلاث سنين .

(٢) كان من عادة السابقين ، وقد أدركناهم أنهم يجففون كتاباتهم بوضع التراب عليها .

حقيقة الروح المسؤول عنه

الظاهر عند المنصف أن السؤال كان عن حقيقة الروح الذى هو مدار البدن الإنسانى ، ومبدأ حياته ، لأن ذلك من أدق الأمور التى لا يسع أحداً إنكارها ، ويشرئب كل إلى معرفتها ، وتتوفر دواعى العقلاء إليها ، وتكل الأذهان عنها ، ولا تكاد تُعلم إلا بوحى .

رأى ابن القيم :

وزعم ابن القيم أن المسؤول عنه الروح الذى أخبر الله تعالى عنه في كتابه أنه يقوم يوم القيامة مع الملائكة عليهم السلام ، قال : لأنهم إنما يسألونه ﷺ عن أمر لا يُعرف إلا بالوحى ، وذلك هو الروح الذى عند الله تعالى لا يعلمه الناس ، أما أرواح بنى آدم فليست من الغيب إلى آخر ما قال ، وقد أطال .

وفى **البحور الزاخرة** أن هذا هو الذى عليه أكثر السلف ، بل كلهم ... والحق ما ذكرنا ، وهو الذى عليه الجمهور كما نص عليه فى البحر وغيره ..

نعم ما زعمه ابن القيم مروى عن بعض السلف ، فقد أخرج عبد ابن حميد وأبوالشيخ عن ابن عباس أنه قال : « الروح خلق من خلق الله تعالى وصورهم على صورة بنى آدم ، وما ينزل من السماء ملك إلا ومعه واحد من الروح ، ثم تلا ﴿ **يوم يقوم الروح والملائكة** ﴾ » .

وأخرج أبو الشيخ وغيره من طريق عطاء رضى الله عنه أنه قال فى الروح المسؤول عنه : هو ملك واحد له عشرة آلاف جناح ، جناحان

منها ما بين المشرق والمغرب ، له ألف وجه ، لكل وجه لسان وعينان وشفتان يسبح الله تعالى بذلك إلى يوم القيامة .

وأخرج هو وغيره أيضاً عن عليٍّ كرَّم الله تعالى وجهه أنه قال فيه : هو ملك من الملائكة له سبعون آلف وجه ، لكل وجه منها سبعون ألف لسانٍ ، لكل لسانٍ منها سبعون ألف لغة ، يسبح الله تعالى بتلك اللغات كلها ، يخلق الله تعالى من كل تسبيحة ملكاً يطير مع الملائكة إلى يوم القيامة .

تعقيـــب :

وتعقب هذا بأنه لا يصح عن عليٍّ كرَّم الله تعالى وجهه ، وطعن الإمام فى ذلك بما طعن .

رأى ابن الأنبارى :

وأخرج ابن الأنبارى فى كتاب « الأضداد » عن مجاهد أنه قال : الروح خلق من الملائكة عليهم السلام ، لا يراهم الملائكة كما لا تروْن أنتم الملائكة .

وأخرج أبو الشيخ عن سلمان أنه قال : الإنس والجن عشرة أجزاء : فالإنس جزء ، والجن تسعة أجزاء .. والملائكة والجن عشرة أجزاء ، فالجن من ذلك جزء والملائكة تسعة .. والملائكة والروح عشرة أجزاء ، فالملائكة من ذلك جزء والروح تسعة أجزاء .. والروح والكروبيون[1] عشرة أجزاء ، فالروح من ذلك جزء والكروبيون تسعة أجزاء ..

---

(١) هم المقربون إلى الله تعالى من الملائكة ، منهم جبريل وميكائيل وإسرافيل فى راى بعض المفسرين .

رأى الحسن وقتادة :

وقال الحسن وقتادة : الروح هو جبرائيل عليه السلام ، وقد سُمى روحاً فى قوله تعالى ﴿ **نزل به الروح الأمين على قلبك** ﴾[1] .. والسؤال عن كيفية نزوله وإلقائه الوحى إليه عليه الصلاة والسلام .

وقال بعضهم : هو القرآن ، وقد سُمى روحاً فى قوله تعالى ﴿ **وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا** ﴾[2]

وقيل غير ذلك ..

وزعم بعضهم أن السؤال عن حدوث الروح بالمعنى الأول وقدمه ، وليس بشئ كما ستسمعه إن شاء الله تعالى . .

من الذى سأل عن الروح ؟

وضمير (يسألون) لليهود ، فقد أخرج الشيخان وغيرهما عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال :

كنت أمشى مع النبى ﷺ فى خرب المدينة وهو متكئ على عسيب ، فمر بقوم من اليهود ، فقال بعضهم لبعض : سلوه عن الروح ، وقال بعضهم : لا تسألوه . فسألوه ، فقالوا : يامحمد ، ما الروح ؟ . فمازال متوكئاً على العسيب ، فظننت أنه يوحى إليه ، فلما نزل الوحى قال : ﴿ **ويسألونك عن الروح** ﴾[3] الآية .

وقال بعضهم : لقريش[4] ، لما أخرج أحمد والنسائى والترمذى

---

(١) الشعراء : آية ١٩٣ .

(٢) الشورى آية : ٥٢ .

(٣) انظر صحيح البخارى ، كتاب « العلم » ، باب : « قول الله تعالى : ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ والترمذى فى أبواب التفسير عند تفسيره سورة الإسراء .

(٤) أى الضمير فى (يسألون) لقريش .

والحاكم وصححاه وابن حبان وجماعة عن ابن عباس قال : قالت قريش لليهود : أعطونا شيئاً نسأل هذا الرجل ، فقالوا : سلوه عن الروح ، فسألوه ، فنزلت ﴿ ويسألونك ﴾[1] .

وفى السيّر عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن قريشاً بعثت النضر بن الحرث وعقبة بن أبى معيط إلى أحبار يهود بالمدينة ، وقالوا لهم : سلوهم فإنهم أهل كتاب عندهم من العلم ماليس عندنا .. فخرجا حتى قدما المدينة ، فسألوهم ، فقالوا : سلوا محمداً عن : أصحاب الكهف وعن ذى القرنين ، وعن الروح ، فإن أجاب عنها أو سكت فليس بنبى ، وإن أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبى .. فجاءوا وسألوه ، فبيَّن لهم ﷺ القضيتين وأبهم أمر الروح وهو مبهم فى التوراة .

والآية على هذا وما قبله مكيَّة ، وعلى خبر الصحيحين مدنيَّة .. وجمع بعضهم بين ذلك بأن الآية نزلتْ مرتين .. فتدبَّر .

وأيًّا ما كان فوجه تعقيب ما تقدم بها إن فسر الروح بالقرآن ظاهر ملائم لقوله تعالى : ﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة ﴾[2] ، ولما بعده من الامتنان عليه وعلى متَّبعيه بحفظه فى الصدور والبقاء .. وكذلك إن فُسِّر بجبرائيل عليه السلام .

وأما على قول الجمهور فقد ورد معترضاً دلالة على خسار الظالمين

---

(١) رواه الترمذى فى أبواب التفسير عند تفسير سورة الإسراء ، وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه .

(٢) الأسراء : آية ٨٢ .

وضلالهم ، وأنهم مشتغلون عن تدبر الكتاب والانتفاع به إلى التعنت سؤال ما اقتضت الحكمة سد طريق معرفته .. ويقال نحو هذا على القول المروى عن بعض السلف .

﴿قل الروح﴾ أظهر فى مقام الإضمار إظهاراً لكمال الاعتناء..
﴿ من أمر ربى ﴾ : كلمة (من) تبعيضية .. وقيل : بيانيّة ، والأمر واحد الأمور بمعنى الشأن ، والإضافة للاختصاص العلمى لا الإيجادى ، إذ ما من شئ إلا وهو مضاف إليه عز وجل بهذا المعنى ، وفيها من تشريف المضاف مالا يخفى كما فى الإضافة الثانية من تشريف المضاف إليه ، أى هى من جنس ما استأثر الله تعالى بعلمه من الأسرار الخفية التى لا تكاد تدركها عيون عقول البشر .

﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾

لا يمكن تعلقه بأمثال ذلك ، وهذا على ما قيل ترك للبيان ونهى لهم عن السؤال .

أخرج ابن إسحق وابن جرير عن عطاء بن يسار قال : نزلت هذه الآية بمكة ، فلما هاجر ﷺ إلى المدينة أتاه أحبار يهود فقالوا : يا محمد ألم يبلغنا عنك أنك تقول: **﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾** أفعنيتنا أم قومك ؟ قال : « **كلاكما قد عنيت** » قالوا : فإنك تتلو أنا أوتينا التوراة وفيها تبيان كل شئ .. فقال رسول الله ﷺ : « **هى فى علم الله قليل ، وقد آتاكم الله تعالى ما إن عملتم به انتفعتم** » فأنزل الله تعالى : **﴿ ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام ﴾** إلى قوله

سبحانه : ﴿ **إن الله سميع بصير** ﴾[1] .. وكأنه ﷺ أشار إلى أن المراد فى الآية ـــ تبياناً لكل شئ من الأمور الدينية ، ولاشك أنها أقل قليل بالنسبة إلى معلومات الله تعالى التى لا نهاية لها ، وبهذا يُرد على القائل بالعموم الحقيقى .

وفى رواية النسائى وابن حبان والترمذى والحاكم وصححاه أن اليهود قالوا حين نزلت الآية : أُوتينا علماً كثيراً ، أُوتينا التوراة ومن أوتى التوارة فقد أوتى خيراً كثيراً ، فأنزل الله : ﴿ **قل لو كان البحر** ﴾[2] الآية .

ولا يخفى أن هذا أيضاً لا يلزم منه التناقض ، لأن القلة والكثرة من الأمور الإضافية ، فالشئ يكون قليلاً بالنسبة إلى ما فوقه وكثيراً بالنسبة إلى ما تحته ، فما فى التوراة قليل بالنسبة إلى ما فى علم الله تعالى شأنه كثير بالنسبة إلى أمر آخر .

وفى رواية أخرجها ابن مردويه عن عكرمة أنه ﷺ لما قال ذلك قال اليهود : نحن مختصون بهذا الخطاب ، فقال : « **بل نحن وأنتم** » ، قالوا : ما أعجب شأنك .. ساعة تقول ﴿ **ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً** ﴾ وساعة تقول هذا ؟!! .. فنزل : ﴿ **ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام** ﴾ ...إلخ .

ولا يلزم منه التناقض أيضاً على نحو ما تقدم بأن يقال : الحكمة الإنسانية أن يعلم من الخير ما تسعه القوة البشرية بل ما ينتظم به أمر

---

(١) لقمان اية ٢٧ ، ٢٨ .

(٢) أنظر سنن الترمذى ، أبوباب التفسير عند تفسير سورة الإسراء .. والآية من سورة الكهف رقم ١٠٩

المعاش والمعاد ، وهو قليل بالنسبة إلى معلوماته تعالى ، كثير بالنسبة إلى غيرها ..

وإلى تعميم الخطاب بحيث يشمل الناس أجمعين ذهب ابن جريج كما أخرجه عند ابن جرير وابن المنذر ، لكن يعكر على القول بالعموم قراءة ابن مسعود والأعمش (وما أوتوا) فإنه يقتضى الاختصاص بالسائلين .. والحديث الأخير الذى هو نص فيه قال العراقى : إنه غير صحيح .. والحديث الأول الله تعالى أعلم بحاله ..

﴿ قل الروح من أمر ربى ﴾

وقال غير واحد : معنى كون الروح من أمره تعالى أنه من الإبداعيات الكائنة بالأمر التكوينى من غير تحصل من مادة وتولد من أصل كالجسد الإنسانى... فالمراد من الأمر واحد الأوامر ، أعنى (كن) .. والسؤال عن الحقيقة ، والجواب إجمالى ، ومآله أن الروح من عالم الأرض مبدعة من غير مادة ، لا من عالم الخلق .. وهو من الأسلوب الحكيم كجواب موسى عليه السلام سؤال فرعون إياه : ما رب العالمين ؟ إشارة إلى كنه حقيقته مما لا يحيط به دائرة إدراك البشر ، وإنما الذى يعلم هذا المقدار الإجمالى المندرج تحت ما استثنى بقوله تعالى : ﴿ **وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً** ﴾ أى إلا علماً قليلاً تستفيدونه من طرق الحواس ، فإن تعقل المعارف النظرية إنما هو فى الأكثر من إحساس الجزئيات .. ولذلك قيل : من فَقَدَ حساً فَقَدْ فَقَدَ علماً .

ولعل أكثر الأشياء لا يدركه الحس لكونه غير محسوس ، أو

محسوساً منع من إحساسه مانع كالغيبة مثلاً ، وكذا لا يدرك شيئاً من عرضياته ليرسمه بها فضلاً عن أن ينتقل منها الفكر إلى الذاتيات ليقف على الحقيقة .. وظاهر كلام بعضهم أن الوقوف على كنه الروح غير ممكن ، فلا فرق عنده بين الجوابين .

وفرّق الخفاجى بين بيان كنه الروح ممكن بخلاف كنه الذات الأقدس .. وفى الكشف أن سبيل معرفة الروح إزالة الغشاء عن أبصار القلوب باجتلاء كحل الجواهر فى كلام علّام الغيوب ، فهو عند المكتحلين أجلى جلى ، وعند المشتغلين أخفى خفى .. ويشكل على هذا ما أخرجه ابن أبى حاتم عن عبد الله بن بريدة قال : لقد قُبض النبى ﷺ « وما يعلم الروح » .

ولعل عبد الله هذا يزعم أنها يمتنع العلم بها ، وإلا فلم يُقبض رسول الله ﷺ حتى علم كل شئ يمكن العلم به ، كما يدل عليه ما أخرجه الامام أحمد والترمذى وقال : حديث صحيح ، وسُئل البخارى عنه فقال : حديث حسن صحيح ، عن معاذ رضى الله عنه أنه ﷺ قال :

« إنى قمت من الليل فصليتُ ما قدر لى ، فنعستُ فى صلاتى حتى استثقلتُ ، فإذا أنا بربى عز وجل فى أحسن صورة ، فقال : يا محمد ، فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : لا أدرى رب .. قال : يا محمد ، فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : لا أدرى رب .. فرأيته وضع كفه بين كتفى حتى وجدت برد أنامله بين صدرى وتجلّى لى كل شئ عرفت »[1] الحديث .

---

(١) انظر مسند أحمد ١/ ٣٦٨ ، ٥/٣٧٨ ، وسنن الدارمى ، كتاب الرؤيا ، باب : رؤية الرب تعالى فى النوم .

ويفهم من كلام بعض متأخرى الصوفية أنه يمتنع الوقوف على حقيقة الروح ، بل ذكر هذا البعض أن حقيقة جميع الأشياء لا يوقف عليها ، وهو مبنى أيضاً على مالا يخفى عليك ، وردّه أو قبوله مفوَّض إليك .

ثم إن لى فى هذا الوجه وقفة .. فإن الظاهر أن إطلاق عالم الأمر على الكائن من غير تحصل من مادة وتولد من أصل ، وإطلاق عالم الخلق على خلافه ، محْضُ اصطلاح لا يُعرف للعرب ولا يعرفونه .. وفى الاستدلال عليه بقوله تعالى : ﴿ **ألا له الخلق والأمر** ﴾[1] مالا يخفى على منصف .

أوجه السؤال عن الروح

هذا ، وذكر الإمام أن السؤال عن الروح يقع على وجوه كثيرة ، وليس فى قوله تعالى ﴿ **ويسألونك عن الروح** ﴾ ما يدل على وجه منها ، إلا أن الجواب المذكور لا يليق إلا بوجهين منها :

الأول : كونه سؤالاً عن الماهية .

الثانى : كونه سؤالاً عن القدم والحدوث .

وحاصل الجواب على الأول أنها جوهر بسيط مجرد محدث بأمر الله تعالى وتكوينه وتأثيره إفادة الحياة للجسد ، ولا يلزم من عدم العلم بحقيقته المخصوصة ، فإن أكثر حقائق الأشياء ماهياتها مجهولة ، ولم يلزم من كونها مجهولة نفيها ، ويشير إليه : ﴿ **وما أوتيتم من العلم إلا**

---

(١) الأعراف : آية ٥٤

قليلاً ﴾ . ومبنى هذا أيضاً الفرق بين عالم الأمر وعالم الخلق ، وقد سمعت ما فيه .

وحاصل الجواب على الثانى : أنه حادث حصل بفعل الله تعالى وتكوينه وإيجاده ، وجعل قوله تعالى **﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾** احتجاجاً على الحدوث ، بمعنى أن الأرواح فى مبدأ الفطرة تكون خالية عن العلوم والمعارف ، ثم يحصل فيها ذلك ، فلا تزال فى تغير من حال إلى حال ، وهو من أمارات الحدوث .

وأنت تعلم أن حمل السؤال على ما ذكر وجعل الجواب إخباراً بالحدوث مع عدم ملاءمته لحال السائلين لا يساعده التعرض لبيان قلة علمهم ، فإن ما سألوا عنه مما يفى به علمهم حينئذ ، وقد أخبر عنه ، وجعل ذلك احتجاجاً على الحدوث من أعجب الحوادث كما لا يخفى على ذى روح .. والله تعالى أعلم .

وههنا أبحاث لا بأس بإيرادها :



شرح مذاهب الناس فى حقيقه الإنسان

مذهب جمهور المتكلمين :

ذهب جمهور المتكلمين إلى أنه عبارة عن هذه البنية المحسوسة والهيكل المجسم المحسوس ، وهو الذى يشير إليه الإنسان بقوله (أنا).. **وأبطل ذلك الإمام**[1] **بسبع عشرة حجة نقلية وعقلية ، لكن** للبحث فى بعضها مجال ، منها ما تقدم من أن أجزاء البنية متغيِّرة زيادة ونقصاناً وذبولاً ونمواً ، والعلم الضرورى قاضٍ بأن الإنسان من حيث هو أمر باقٍ من أول العمر إلى آخره ، وغيرُ الباقى غيرَ الباقى !! .

ومنها أن الإنسان قد يعتريه ما يشغله عن الالتفات إلى أجزاء بنيته كلاً وبعضاً ، **ولا يغفل** عن نفسه المعينة بدليل أنه يقول مع ذلك الشاغل : فعلت ، وتركت مثلاً ، وغيرُ المعلوم غيرَ المعلوم !!

ومنها أنه قد توجد البنية المخصوصة ، وحقيقة الإنسان غير حاصلة ، فإن جبريل عليه السلام كثيراً ما رؤى فى صورة دحية الكلبى ، وإبليس عليه اللعنة رؤى فى صورة شيخٍ نجدى ، وقد تنتفى البنية مع بقاء حقيقة الإنسان ، فإن الممسوخ مثلاً قرداً باقية حقيقته مع انتفاء البنية المخصوصة وإلا لم يتحقق مسخ بل إماتة لذلك الإنسان وخلق قرد .

---

(١) يعنى : الإمام الفخر الرازى . وسبق أن فصلنا هذا المذهب ، وذكرنا حجج الإمام فى إبطاله .

ومنها أنه جاء فى الخبر أن الميت إذا حُمل على النعش رفرف روحه فوق النعش ويقول : يا أهلى ويا ولدى ، لا تلعبنَّ بكم الدنيا كما لعبت بى ، جمعتُ المال من حلِّه ومن غير حله ثم تركته لغيرى ، فالهناء له والتبعة علىَّ ، فاحذروا مثل ما حل بى .. فصرَّح رسول الله ﷺ بأن هناك شيئاً ينادى غير المحمول كان الأهل أهلاً له وكان الجامع للمال من الحلال والحرام ، وليس ذلك إلا الإنسان .. إلى غير ذلك مما ذكره فى تفسيره .

قول جمهور المحققين :

وقيل : إن الإنسان هو الروح الذى فى القلب ..

وقيل : إنه جزء لا يتجزأ فى الدماغ .

وقيل : إنه أجزاء نارية مختلطة بالأرواح القلبية والدماغية ، وهى المسماة بالحرارة الغريزية .

وقيل : هو الدم الحال فى البدن ..

وقيل ، وقيل ... إلى نحو ألف قول .

والمعول عليه عند المحققين قولان :

الأول : أن الإنسان عبارة عن جسم نورانى علوى حى متحرك مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس ، سارٍ فيه سريان الماء فى الورد ، والدهن فى الزيتون ، والنار فى الفحم ، لا يقبل التحلل والتبدل والتفرق والتمزق ، مفيد للجسم المحسوس الحياة وتوابعها مادام صالحاً لقبول الفيض لعدم حدوث ما يمنع من السريان كالأخلاط الغليظة ، ومتى حدث ذلك حصل الموت لانقطاع السريان . والروح عبارة عن ذلك الجسم ..

واستحسن هذا الإمام ، فقال : هو مذهب قوى ، وقول شريف يجب التأمل فيه ، فإنه شديد المطابقة لما ورد فى الكتب الإلهية من أحوال الحياة والموت .

وقال ابن القيم فى كتابه (الروح) : إنه الصواب ولا يصح غيره ، وعليه دل الكتاب والسُنة وإجماع الصحابة ، وأدلة العقل والفطرة ، وذكر له مائة دليل وخمسة أدلة ، فليراجع .

الثانى : أنه ليس بجسم ولا جسمانى وهو الروح ، وليس بداخل العالم ولا خارجه ، ولا متصل به ولا منفصل عنه ، ولكنه متعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف .. وهو قول أكثر الإلهيين من الفلاسفة .. وذهب إليه جماعة عظيمة من المسلمين منهم : الشيخ أبو القاسم الراغب الأصفهانى ، وحجة الإسلام أبو حامد الغزالى .. ومن المعتزلة : معمر بن عباد السلمى .. ومن الشيعة : الشيخ المفيد .. ومن الكرامية : جماعة .. ومن أهل المكاشفة والرياضة أكثرهم .. وقد قدَّمنا لك الأدلة على ذلك .

ومن أراد الإحاطة بذلك فليرجع إلى كتب الشيخين : أبى على ، وشهاب الدين المقتول ، وإلى كتب الإمام االرازى كالمباحث المشرقية وغيره .. وللشيخ الرئيس رسالة مفردة فى ذلك سمَّاها بالحجج الغر أحكمها وأتقنها ما يتنى على تعقل النفس لذاتها ، وابن القيم زيف حججه فى كتابه ، وهو كتاب مفيد جداً ، يهب للروح روحاً ، ويورث للصدر شرحاً .

واستدل الإمام على ذلك فى تفسيره بالآية المذكورة ، فقال : إن الروح لو كان جسماً متنقلاً من حالة إلى حالة ومن صفة إلى صفة لكان مساوياً للبدن فى كونه متولداً من أجسام اتصفت بصفات

مخصوصة بعد أن كانت موصوفة بصفات أخر .. فإذا سئل رسول الله ﷺ عنه وجب أن يبين أنه جسم كان كذا ثم صار كذا وكذا حتى صار روحاً مثل ما ذكر فى كيفية تولد البدن : أنه كان نطفة ، ثم علقة ، ثم مضغة ، فلما لم يقل ذلك وقال : هو من أمر ربى ، بمعنى أنه لا يحدث ولا يدخل فى الوجود إلا لأجل أن الله تعالى قال له : كن .. فيكون ، دلَّ ذلك على أنه جوهر ليس من جنس الأجسام ، بل هو جوهر قدسى مجرد ، ولا يخفى أن ذلك من الإقناعات الخطابية وهى كثيرة فى هذا الباب ، منها قوله تعالى : ﴿ **ونفخت فيه من روحى** ﴾[1] .. وقوله سبحانه : ﴿ **وكلمته ألقاها إلى مريم** ﴾[2] .. فإن هذه الإضافة مما تنبه على شرف الجوهر الإنسى وكونه عرياً عن الملابس الحسيَّة .. ومنها قوله ﷺ : « **أنا النذير العريان** »[3] .. **ففيه إلى تجرد الروح عن علائق الأجرام** .

وقوله ﷺ : « **إن الله تعالى خلق آدم على صورة الرحمن** » ، وفى رواية « **على صورته** »[4].

وقوله ﷺ : « **أبيت عن ربى يطعمنى ويسقينى** »

ففى ذلك إيذان بشرف الروح وقربه من ربه قرباً بالذات والصفات مجرداً عن علائق الأجرام وعوائق الأجسام إلى غير ذلك مما لا يحصى ، وهو على هذا المنوال ، وللبحث فيه مجال أى مجال .

---

(١) الحجر : آية ٢٩ ، ص : آية ٧٢ .

(٢) النساء : آية ١٧١ .

(٣) انظر صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث ١٦ ، والبخارى فى كتاب الاعتصام ، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ .

(٤) رواه البخارى من حديث طويل ، كتاب «الاستئذان» باب «بدء الأذان» .

وكان ثابت بن قرة يقول : إن الروح جسم متعلق بأجسام سماوية نورانية لطيفة غير قابلة للسكون والفساد والتمزق ، وتلك الأجسام سارية فى البدن ، وهى مادامت سارية كان الروح مدبراً للبدن ، وإذا انفصلت عنه انقطع التعلق ، وهو قول ملفق وأنا لا أستبعده .

حدوث الروح وقدمه

أجمع المسلمون على أنه حادث حدوثاً زمنياً كسائر أجزاء العالم ، إلا أنهم اختلفوا فى أنه : هل هو حادث قبل البدن أم بعده .

(أ) من يرى حدوث الروح قبل البدن :

ذهب طائفة إلى الحدوث قبل ، منهم : محمد بن نصر المروزى ، وأبو محمد بن حزم الظاهرى وحكاه إجماعاً ، وقد افترى .. واستدل لذلك بما فى الصحيحين من حديث عائشة رضى الله تعالى عنها أن النبى ﷺ قال : « **الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف** »[1] . قال ابن الجوزى فى تبصرته : قال أبو سليمان الخطابى : معنى هذا الحديث : الإخبار عن كون الأرواح مخلوقة قبل الأجساد .. وزعم ابن حزم أنها فى برزخ وهو منقطع العناصر ، فإذا استعد جسد لشىء منها هبط إليه ، وأنها تعود إلى ذلك البرزخ بعد الوفاة ، ولا دليل لهذا من كتاب أو سُنّة . وبعضهم استدل على ذلك بخبر خلق الله تعالى الأرواح قبل الأجساد بألفى عام .. وتعقّبه ابن القيم بأنه لا يصح إسناده ..

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه ، كتاب « بدء الخلق » باب « الأرواح جنود مجندة » ومسلم كتاب « البر والصلة » حديث ١٥٩ .

(ب) من يرى حدوث الروح بعد البدن :

وذهب آخرون منهم حجة الإسلام الغزالى إلى الحدوث بعد .. ومن أدلة ذلك كما قال ابن القيم :

الحديث الصحيح : « **إن الله خلق ابن آدم يُجمع فى بطن أمه أربعين يوماً دمائم ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح**»[1]. ووجه الاستدلال : أن الروح لو كان مخلوقاً قبل لقيل : ثم يرسل إليه الملك بالروح فيدخله فيه .

وصرّح فى (روضة المحبين ونزهة المتقين) باختيار هذا القول : فقال إن القول بأن الأرواح خلقت قبل الأجساد قول فاسد وخطأ صريح ، والقول الصحيح الذى دلّ عليه الشرع والعقل أنها مخلوقة مع الأجساد ، وأن الملك ينفخ الروح أى يحدثه بالنفخ فى الجسد إذا مضى على النطفة أربعة أشهر ودخلت فى الخامس .. ومن قال إنها مخلوقة قبل فقد غلط .. وأقبح منه من قول من قال : إنها قديمة .. إنتهى . وفيه تأمل .. ويوافق مذهب الحدوث قوله تعالى : ﴿ **ثم أنشأناه خلقاً آخر** ﴾[2] .. فليفهم .

بطلان قول الفلاسفة بِقِدَم الروح :

وذهب أفلاطون ومن تقدمه من الفلاسفة إلى قِدَم الروح .. وذهب المعلم الأول إلى حدوثها مع حدوث البدن المستعد له ، كما ذهب إليه بعض الإسلاميين .. وقد تقدم الكلام فى استدلال كل

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه ، كتاب « بدء الخلق » باب « ذكر الملائكة » ، ورواه مسلم فى صحيحه ، كتاب « القدر » حديث رقم ١ . وابن ماجه فى المقدمة ، حديث رقم ٧٦ وأحمد فى المسند ٣٨٢/١ .

(٢) المؤمنون : آية ١٤

جرحاً وتعديلاً .

ويُقال هنا : أن المعلم الأول قائل كغيره من الفلاسفة بتجرد الروح المسماة بالنفس الناطقة عندهم عن المادة ، فكيف يسعه القول بحدوثها مع قولهم : كل حادث زمانى يحتاج إلى مادة ؟! .

وأُجيب : بأن المادة ههنا أعم من المحل والمتعلق به ، والبدن مادة للنفس بهذا المعنى ، وأنت تعلم أن استعداد الشيء للشيء لا يكون إلا فيما إذا كان ذلك مقترناً به لا مبايناً عنه ، فالأولى أن يُقال : إن البدن الإنسانى لما استدعى لمزاجه الخاص صورة مدبرة له بتصرفه فيه ، أى أمراً موصوفاً بهذه الصفة من حيث هو كذلك ، وجب على مقتضى جود الواهب الفياض وجود أمر يكون مبدأ للتدابير الإنسية والأفاعيل البشرية ، ومثل هذا الأمر لا يمكن إلا أن يكون ذاتاً مدركة للكليات مجردة فى ذاتها فلا محالة قد فاض عليه حقيقة النفس لا من حيث أن البدن استدعاها ، بل من حيث عدم إنفكاكها عما استدعاه .

فالبدن استدعى باستعداده الخاص أمراً مادياً وجود المبدأ الفياض أفاد جوهراً قدسياً .. وكما أن الشيء الواحد قد يكون على ما قرروه جوهراً أو عرضاً باعتبارين ، كذلك يكون أمر واحد مجرداً ومادياً باعتبارين ، فالنفس الإنسانية مجردة ذاتاً مادية فعلاً ، فهى من حيث الفعل من التدبير والتحريك مسبوقة باستعداد البدن مقترنة به ، أما من حيث الذات والحقيقة فمنشأ وجودها وجود المبدأ الواهب لا غير ، فلا يسبقها من تلك الحيثية استعداد البدن ولا يلزمها الاقتران فى وجودها به ، ولا يلحقها شيء من مثالب الماديات إلا بالعرض .

ويمكن تأويل ما نقل عن أفلاطون فى باب قِدَم النفس إلى هذا بوجه لطيف ، كذا قاله بعض صدور المتأخرين فتأمله .

الــروح .. والنَّفــس

اختلف الناس فى الروح والنَّفْس : هل هما شئ واحد أم شيئان ؟

● فحكى ابن زيد عن أكثر العلماء أنهما شئ واحد ، فقد صح فى الأخبار إطلاق كل منهما على الآخر ، وما أخرجه البزار بسند صحيح عن أبى هريرة رفعه : « **إن المؤمن ينزل به الموت ويعاين ما يعاين يود لو خرجت نفسه ، والله تعالى يحب لقاءه ، وإن المؤمن تصعد روحه إلى السماء فتأتيه أرواح المؤمنين فيستخبرونه عن معارفه من أهل الدنيا** » .. الحديث ظاهر فى ذلك .

● وقال ابن حبيب : هما شيئان .. فالروح هو النفس المتردد فى الإنسان ، والنفس أمر غير ذلك لها يدان ورجلان ورأس وعينان ، وهى التى تلتذ وتتألَّم وتفرح وتحزن .. وإنها هى التى تتوفى فى المنام وتخرج وتسرح وترى الرؤيا ويبقى الجسد دونها بالروح فقط لا يلتذ ولا يفرح حتى تعود .. واحتج بقوله تعالى : ﴿ **الله يتوفَّى الأنفس** ﴾[1] . الآية .

● وحكى ابن منده عن بعضهم أن النفس طينية نارية والروح نورية روحانية .

● وذكر ان أهل الاثر على المغايرة ، وأن قُوام النفس بالروح ، والنفس صورة العبد والهوى والشهوة والبلاء معجون فيها .. ولا عدو

---

(١) الزمر : آية ٤٢ .

أعْدى لابن آدم من نفسه ، لا تريد إلا الدنيا ولا تحب إلا إياها .. والروح تدعو إلى الآخرة وتؤثرها .

● وظاهر كلام بعض محققى الصوفية القول بالمغايره .. ففى (منتهى المدارك) للمحقق الفرغانى : أن النفس المضافة إلى الإنسان عبارة عن بخار ضبابى منبعث من باطن القلب الصنوبرى ، حامل لقوة الحياة ، متجسس بأثر الروح الروحانية المرادة بقوله تعالى ﴿ **ونفخت فيه من روحى** ﴾[1] الثابت تعينها فى عالم الأرواح وأثرها واصل إلى هذا البخار الحامل للحياة .. فالنفس إذن أمر مجتمع من البخار ووصف الحياة وأثر الروح الروحانية .. وهذه النفس بحكم تجنسها بأثر الروح الروحانية متعينة لتدبير البدن الإنسانى قابلة لمعالى الأمور وسفاسفها ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ **فألهمها فجورها وتقواها** ﴾[2] .

والروح الروحانية أمر لا يكتنه ، والحق أنهما قد يتحدان وقد يتغايران . وابن القيم اعتمد مما عليه الأكثرون من الاتحاد ذاتاً .. وذكر غير واحد : أنه هو الذى عليه الصوفية ، بيد أنهم قالوا : إن النفس هى الأصل فى **الإنسان** ، فإذا صقلت بالرياضة وأنواع الذكر والفكر صارت روحاً ، ثم قد تترقّى إلى أن تصير سراً من أسرار الله تعالى .

(١) الحجر : آية ٢٩ ، ص : آية ٧٢ .
(٢) الشمس : آية ٨ .

مـراتـب النفـس

وتفصيل الكلام حينئذ فى هذا المقام :

أن للنفس مراتب تترقى فيها :

ــ **الأولى** : تهذيب الظاهر باستعمال النواميس الإلهية من القيام والصيام وغيرهما .

ــ **الثانية** : تهذيب الباطن عن الملكات الردية والأخلاق الدنية .

ــ **الثالثة** : تحلى النفس بالصور القدسية .

ــ **الرابعة** : فناؤها عن ذاتها وملاحظتها جلال رب العالمين جل جلاله .

ويُقال فى كيفية الترقى فى هذه المراتب أن الإنسان أول ما يولد فهو كباقى الحيوانات لا يعرف إلا الأكل والشرب ، ثم بالتدريج يظهر له باقى صفات النفس من الشهوة ، والغضب ، والحرص ، والحسد ، وغير ذلك من الهيآت التى هى نتائج الاحتجاب والبُعد من معدن الجود والصفات الكمالية .. ثم إذا تيقظ من سِنَة الغفلة وقام من نوم الجهل وبان له أن وراء هذه اللذات البهيمية لذات أُخر ، وفوق هذه المراتب مراتب أُخر كمالية ، يتوب عن اشتغاله بالمنهيات الشرعية وينيب إلى الله تعالى بالتوجه إليه ، فيشرع فى ترك الفضول الدنيوية طلباً للكماليات الأخرويَّة ، ويعزم عزماً تاماً ، ويتوجه إلى السلوك إلى ملك الملوك من مقام نفسه ، فيهاجر منه ، ويقع فى الغربة ، وياطوبى للغرباء !! وإن قيل : إن الغربة للأحرار ذبح .. ثم إذا دخل فى الطريق يزهد عن كل ما يعوقه عن مقصوده ويصده عن معبوده ، فيتصف

بالورع والتقوى والزهد الحقيقى ، ثم يحاسب نفسه دائماً فى أقواله وأفعاله ، ويتّهمها وفى كل ما تأمر به وإن كان عبادة ، فإنها مجبولة على حب الشهوات ، ومطبوعة على الدسائس الخفيات ، فلا ينبغى أن يأمنها ويكون على ثقة منها .

يُحكى عن بعض الأكابر أن نفسه لم تزل تأمره بالجهاد وتحثه عليه ، فاستغرب ذلك ، ثم فطن أنها تريد أن تستريح من نَصَب القيام والصيام بالموت ، فلم يُجبها إلى ذلك .. فإذا خلص منها وصفا وقته وطاب عيشه بما يجده فى طريق المحبوب يتنور باطنه ، ويظهر له لوامع أنوار الغيب ، وينفتح له باب الملكوت ، وتلوح منه لوائح مرة بعد أخرى ، فيشاهد أموراً غيبية فى صور مثالية ، فإذا ذاق شيئاً منها يرغب فى العزلة والخلوة والذكر والمواظبة على الطهارة والعبادة والمراقبة والمحاسبة ، ويعرض عن الملاذ الحسية كلها ، ويفرغ القلب عن محبتها ، فيتوجه باطنه إلى الحق تعالى بالكلية ، فيظهر له الوجد والسكر والشوق والعشق والهيمان ، ويجعله فانياً عن نفسه ، غافلاً عنها ، فيشاهد الحقائق السرية ، والأنوار الغيبية ، فيتحقق بالمشاهدة والمعاينة والمكاشفة ، ويظهر له أنوار حقيقية تارة وتختفى أخرى ، حتى يتمكن ويتخلص من التلوين ، وينزل عليه السكينة الروحية ، والطمأنينة الإلهية .. ويصير ورود هذه البوارق والأحوال له ملكة ، فيدخل فى عوالم الجبروت ، ويشاهد العقول المجردة والأنوار القاهرة من الملائكة المقرَّبين والمهيمين ، ويتحقق بأنوارهم ، فيظهر له أنوار سلطان **الأحدية** وسواطع العظمة الإلهية ، فتجعله هباءاً منثوراً ، ويندك حينئذ جبال إنيته ، فيخر لله تعالى خروراً ، ويتلاشى فى التعين الذاتى ، ويضمحل وجوده فى الوجود الإلهى .. وهذا مقام الفناء

والمحو ، وهو غاية السفر الأول للسالكين .. فإن بقى فى الفناء والمحو ولم يجئ إلى البقاء والصحو صار مستغرقاً فى عين الجمع ، محجوباً بالحق عن الخلق ، لا يزيغ بصره عن مشاهدة جماله عز شأنه وأنوار ذاته وجلاله ، فاضمحلت الكثرة فى شهوده ، واحتجب التفصيل عن وجوده ، وذلك هو الفوز العظيم .

وفوق ذلك مرتبة يرجع فيها إلى الصحو بعد المحو ، وينظر إلى التفصيل فى عين الجمع ، ويسع صدره الحق والخلق فيشاهد الحق فى كل شئ ، ويرى كل شئ بالحق على وجه لا يوجب التكثر والتجسم ، وهو طور وراء طور العقل .

ووقع فى عبارة بعضهم أنه قد يصير العارف متخلقاً بأخلاق الله تعالى بالحقيقة لا بمعنى صيرورة صفاته تعالى عرضاً قائماً بالنفس ، فإن هذا مما لا يتصور أبداً ، والقول به خروج عن الشريعة والطريقة والحقيقة ، بل بمعنى علاقة أخرى أتم من علاقتها مع الصفات الكونية البدنية وغيرها نعلم حقيقتها .

ولعل مرادهم بالمرتبة التى تترقى إليها النفس فتكون سراً من أسرار الله تعالى هى هذه المرتبة ، والاطلاع عليها يحتاج إلى سلوك طريقة الأبرار ولا يتم بمجرد الأنظار والأفكار .. والله تعالى الموفق للسلوك والمتفضل بالغنى على الصعلوك .

هل تموت الروح أم لا ؟!!

اختلف الناس :

هل تموت الروح أم لا ؟

• فذهبت طائفة إلى أنها تموت لأنها نفس ، وكل نفس ذائقة ..ت .. وقد دلّ الكتاب على أنه لا يبقى إلا الله تعالى وحده ، وهو ..ستدعى هلاك الأرواح كغيرها من المخلوقات ، وإذا كانت الملائكة ..ليهم السلام يموتون ، فالأرواح البشرية أولى .. وأيضاً أخبر سبحانه عن أهل النار أنهم بقولون : ﴿ **أمتنا اثنتين وأحييْتنا اثنتين** ﴾[1] .. **ولا تتحقق الإماتتان إلا بإماتة البدن مرة ، وإماتة الروح أخرى .**

• وقالت طائفة : إنها لا تموت ، للأحاديث الدالة على نعيمها وعذابها بعد المفارقة إلى أن يرجعها الله تعالى إلى الجسد .

وإن قلنا بموتها لزم انقطاع النعيم والعذاب ..

والصواب أن يُقال : موت الروح هو مفارقتها للجسد ، فإن أريد موتها هذا القدر فهى ذائقة الموت .. وإن أريد أنها تعدم وتضمحل فهى لا تموت بل تبقى مفارقة ماشاء الله تعالى ثم تعود إلى الجسد ، وتبقى معه فى نعيم أو عذاب أبد الآبدين ودهر الداهرين ، وهى مستثناه ممن يصعق عند النفخ فى الصور على أن الصعق لا يلزم منه الموت ، والهلاك ليس مختصاً بالعدم ، بل يتحقق بخروج الشيء عن حد الانتفاع به ونحو ذلك .. وما ذكر فى تفسير الإماتتين غير مسلم .

• وإلى أنها لا تموت بموت البدن ذهبت الفلاسفة أيضاً .. واحتج الشيخ عليه بأن قال :

---

(١) غافر : آية ١١ .

قد ثبت أن النفس يجب حدوثها عند حدوث البدن ، فلا يخلو إما أن يكونا معاً فى الوجود أو لأحدهما تقدُّم على الآخر .. فإن كانا معاً ، فلا يخلو إما أن يكونا معاً فى الماهية أو لا فى الماهية ، والأول باطل ، وإلا لكانت النفس والبدن متضايفين[1] لكنهما جوهران هذا خلف[2] .. وإن كانت المعيَّة فى الوجود فقط من غير أن يكون لأحدهما حاجة فى ذلك الوجود إلى الآخر ، فعدم كل واحد منهما يوجب عدم تلك المعية إما لا يوجب عدم الآخر ، وإما إن كان لأحدهما فى الوجود إلى الآخر ، فلا يخلو : إما أن يكون المقدم هو النفس أو البدن .. فإن كان المقدم فى الوجود هو النفس ، فذلك التقدم إما أن يكون زمانياً أو ذاتياً ، والأول باطل ، لما ثبت أن النفس ليست موجودة قبل البدن .. وأما الثانى : فباطل أيضاً ، لأن كل موجود يكون وجوده معلول شئ كان عدمه معلول عدم ذلك الشئ .. إذ لو انعدم ذلك المعلول مع بقاء العلة لم تكن تلك العلة كافية فى إيجابها .. فلا تكون العلة علة بل جزء من العلة هذا خلف .

فإذا كان البدن معلولاً لامتنع عدم البدن إلا لعدم النفس .

والتالى بطلان البدن قد ينعدم لأسباب أُخر مثل : سوء المزاج ، أو سوء التركيب ، أو تفرق الاتصال ، فبطل أن تكون النفس علة للبدن .. وباطل أيضاً أن يكون البدن علة للنفس .. لأن العلل كما عرف أربع ، ومحال أن يكون البدن علة فاعلية للنفس .. فإنه

---

(١) التضايف : الإضافة بمعناها عند الحكماء ويُسمى مابينهما تلك النسبة متضايفين .
والاضافة عند الحكماء نسبة بين شيئين يقتضى وجود أحدهما وجود الآخر كالأخوة والبنوة والأبوة والصداقة .

(٢) الخُلْف فى علم الفلسفة : المحال الذى ينافى المنطق ، ويخالف المعقول .
والجوهر فى الفلسفة : ما قام بنفسه ويقابله العَرَض وهو ما قام بغيره .

لا يخلو : إما أن يكون علة فاعلية لوجود النفس بمجرد جسميته أو لأمر زائد على جسميته ، والأول باطل ، وإلا لكان كل جسم كذلك .. والثانى باطل ، أما أولاً : فلما ثبت أن الصور المادية إنما تفعل بواسطة الوضع ، وكل مالا يفعل إلا بواسطة الوضع استحال أن يفعل أفعالاً مجردة عن الحيز والوضع .. وأما ثانياً : فلأن الصور المادية أضعف من المجرد القائم بنفسه ، والأضعف لا يكون سبباً للأقوى ، ومحال أن يكون البدن علة قابلية ، لما ثبت أن النفس مجردة مستغنية عن المادة ، ومحال أن يكون علة صورية للنفس أو تمامية ، فإن الأمر أولى أن يكون بالعكس ، فإذاً ليس بين البدن والنفس علاقة واجبة الثبوت أصلاً .. فلا يكون عدم أحدهما علة لعدم الآخر .

فإن قيل :

ألستم جعلتم البدن علة لحدوث النفس ؟

فنقول : قد بين أن الفاعل إذا كان منزهاً عن التغير ثم صدر عنه الفعل بعد أن كان غير صادر فلابد أن يكون لأجل أن شرط الحدوث قد حصل فى ذلك الوقت دون ما قبله .. ثم إن ذلك الشرط لما كان شرطاً للحدوث فقط وكان غنياً فى وجوده عن ذلك الشئ ، استحال أن يكون عدم ذلك الشرط مؤثراً فى عدم ذلك الشئ .. ثم لما اتفق أن كان ذلك الشرط مستعداً لأن يكون آلة للنفس فى تحصيل الكمالات ، والنفس لذاتها مشتاقة إلى الكمال لا جرم حصل للنفس شوق طبيعى إلى التصرف فى ذلك البدن والتدبير فيه على الوجه الأصلح ، ومثل ذلك لا يمكن أن يكون عدمه علة لعدم ذلك الحادث ، بل ذهب الفلاسفة إلىٰ استحالة انعدام النفس ، وبرهنوا على ذلك بما برهنوا ، وعندنا : لا استحالة فى ذلك .

تمايز الأرواح بعد مفارقتها الأبدان

نص ابن القيم على أن كل روح تأخذ من بدنها صورة تتميز بها عن غيرها .. وأن تمايز الأرواح أعظم من تمايز الأبدان ..

إلا أنه زعم أنه لا يمكن التمايز بينها على القول بأنها جوهر مجرد عن المادة ، وفيه نظر .. فإن القائلين بذلك قائلون بالتمايز أيضاً باعتبار ما يحصل لا من التعلق بالبدن أو بنحو آخر من التمايز .

وذكر الشيخ (إبراهيم الكورانى) فى بعض رسائله أن الأرواح بعد مفارقتها أبدانها المخصوصة تتعلق بأبدان أخر مثالية حسبما يليق بها ، وإلى ذلك الإشارة بالطير الخضر فى حديث الشهداء .. ففى صحيح مسلم عن ابن مسعود أن أرواح الشهداء فى أجواف طير خضر[١٠٤] .

وأخرج سعيد بن منصور عن مكحول عن النبى ﷺ أن ذرارىّ المؤمنين أرواحهم فى عصافير فى شجرة فى الجنة .. أى أنها تكون فى أبدان على تلك الصور .

ويؤيد ذلك رواية ابن ماجه عن ابن مسعود : أرواح الشهداء عند الله تعالى كطير خضر[٢] .. وفى لفظ عن كعب : أرواح الشهداء طير خضر .

ولفظ ابن عمر : فى صورة طير بيض .

وفى رواية على بن عثمان اللاحقى عن مكحول : أن ذرارى المؤمنين أرواحهم عصافير فى الجنة .

---

(١) انظر صحيح مسلم ، كتاب « الإمارة ، حديث رقم ١٢١ .

(٢) انظر سنن ابن ماجه ، كتاب الجهاد ، حديث رقم ١٨٠١ .

وعلى هذا يكون إنكار قوم من المتكلمين خبر : فى أجواف طير ، وكذا خبر : فى عصافير ، لما فى ذلك من تعلق روحين فى بدن واحد ، **وقد قالوا باستحالته**، ناشئاً من عدم التأمل والتثبت ، لأنه على ما قررنا لا يكون للطائر روح غير روح الشهيد ، على أنه لو بقى الخبر على ظاهره لم يلزم محال ، لجواز أن تكون الروح فى جوف الطير على نحو كون الجنين فى بطن أمه .. فتدبر .

مستقر الأرواح بعد مفارقتها الأبدان

الذى دلت عليه الأخبار أن مستقر الأرواح بعد المفارقة مختلف :

- فمستقر أرواح الأنبياء عليهم السلام فى أعلى عليِّين ، وصحَّ أن آخر كلمة تكلم بها ﷺ : **«اللهم الرفيق الأعلى»**[1] ، **وهو يؤكد** ما ذكر .

- ومستقر أرواح الشهداء فى الجنة ، ترد من أنهارها وتأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قناديل معلقة بالعرش .

وروى فى أرواح أطفال المؤمنين ما هو قريب من ذلك ..

وروى ابن المبارك عن كعب قال : جنة المأوى جنة فيها طير خضر ترعى فيها أرواح الشهداء على بارق نهر بباب الجنة فى قبة خضراء

---

(١) رواه مسلم من حديث عائشة ، كتاب الفضائل حديث رقم ٨٧ ، والبخارى بنحوه فى كتاب الدعوات ، والفضائل والمغازى ..

يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشياً .. ولعلّ هذا ــ كما قال ابن رجب ــ فى عوام الشهداء ، وما تقدَّم فى خواصهم .. أو لعل هذا فى شهداء الآخرة كالغريق والمبطون إلى غير ذلك .

● وأما مستقر أرواح سائر المؤمنين فقيل فى الجنة أيضاً ، وهو نص الإمام الشافعى .. وقد أخرج الإمام مالك عن كعب بن مالك مرفوعاً : « **إنما نسمة المؤمن طائر يعلق فى شجر الجنة حتى يرجعه الله تعالى فى جسده حين يبعثه**»[1] ورواه الإمام أحمد فى مسنده ، وخرَّجه النسائى من طريق مالك ، وخرَّجه ابن ماجه ، ورواه خلق كثير .

وروى ابن منده من حديث أم بشر مرفوعاً ماهو نص فى أن مستقر أرواح المؤمنين نحو مستقر أرواح الشهداء .

وقال وهب بن منبه : إن لله تعالى فى السماء السابعة داراً يُقال لها البيضاء يجتمع فيها أرواح المؤمنين .

● ومستقر أرواح الكفار فى سجين .. وفى حديث أم بشر أن أرواح الكفار فى حواصل طير سود تأكل من النار ، وتشرب من النار ، وتأوى إلى حجر فى النار ، يقولون : ربنا لا تلحق بنا إخواننا ولا تؤتنا ما وعدتنا .

---

(١) رواه مالك فى الموطأ كتاب الجنائز حديث رقم ٤٩ ، وابن ماجه فى كتاب الزهد ، حديث رقم ٣٧ والنسائى فى كتاب الجنائز ، باب أرواح المؤمنين .

وقيل : مستقر أرواح الموتى أفنية قبورهم .. وحكى هذا ابن حزم عن عامة أهل الحديث ، واستدل له بعضهم بحديث ابن عمر عن النبى ﷺ : « **إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشى إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، يُقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله تعالى** »[1] .. وبأنه ﷺ حين زار الموتى قال : « **السلام عليكم دار قوم مؤمنين** »[2] .

ورجح ابن عبد البر أن مستقر أرواح ما عدا الشهداء بأفنية القبور ، وفيه أنه إن أُريد أن الأرواح لا تفارق الأفنية فهو خطأ يرده الكتاب والسُنّة ، وإن أُريد أنها تكون هناك وقتاً من الأوقات كما روى عن مجاهد : الأرواح على القبور سبعة أيام من يوم دفن الميت ، أوّلها إشراق على قبورها وهى فى مقرها ، فهو حق .. لكن لا يقال مستقرها أفنية القبور . وعوّل بعض المحققين على أن الأرواح حيث كانت لها اتصال لايعلم حقيقته إلا الله تعالى ، وبذلك ترد السلام ، وتعرف المسلم ، ويعرض عليها مقعدها من الجنة أو النار .

وقال بعضهم : لا مانع من انتقالها من مستقرها وعودها إليه فى أسرع وقت حيث شاء الله تعالى ذلك ..

نعم .. جاء فى حديث البراء بن عازب ما يدل على أن أرواح

---

(١) رواه مسلم فى كتاب « الجنة وصفة نعيمها » حديث رقم ٦٥ ، والبخارى فى كتاب « الجنائز » باب « الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشى » .

(٢) رواه مسلم فى صحيحه من حديث أبى هريرة ، كتاب « الطهارة » حديث رقم ٣٩ .

المؤمنين تستقر فى الأرض ولا تعود إلى السماء بعد عرضها ، حيث قال فيه فى صفة قبض روح المؤمن : فإذا انتهى إلى العرش كتب كتابه فى عليين ويقول الرّب تعالى شأنه : « **ردُّوا عبدى إلى مضجعه فإنى وعدتهم أنى منها خلقتهم ، وفيها أعيدهم ، ومنها أخرجهم تارة أخرى** » .

وفى لفظ : « **ردوا روح عبدى إلى الأرض ، فإنى وعدتهم أن أردهم فيها** » ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿ **منها خلقناكم** ﴾[1] الآية .

لكن قال الحافظ ابن رجب : إن حديث البراء وحده لا يعارض الأحاديث الكثيرة المصرحة بأن الأرواح فى الجنة لاسيما الشهداء .. وقوله تعالى : ﴿ **منها خلقناكم** ﴾ الخ ، باعتبار الأبدان .

● وقالت طائفة : مستقر الأرواح مطلقاً فى السماء الدنيا عن يمين آدم عليه السلام وعن شماله .. ويدل عليه مافى الصحيحين :

عن أبى ذر من حديث المعراج .. ففيه : « **لما فتح علونا السماء الدنيا ، فإذا رجل قاعد على يمينه أسودة وعلى يساره أسودة ، فإذا نظر قِبَل يمينه ضحك ، وإذا نظر قِبَل شماله بكى ، فقال : مرحباً بالنبى الصالح والابن الصالح ، قلت لجبريل : « من هذا ؟ » قال : آدم ، وهذه الأسودة عن يمينه وشماله نسم بنيه ، وأهل اليمين هم أهل الجنة ، والأسودة التى عن شماله أهل النار** »[2] .

(١) ذكره ابن القيم فى كتابه « الروح » وعزاه إلى ابن منده فى كتاب « الروح والنفس » .
(٢) رواه البخارى فى كتاب الصلاة ، الباب الأول ، ومسلم فى كتاب « الإيمان » حديث رقم ٢٦٣ .

ويُجاب بأن المراد أنه عليه السلام يرى هذين الصنفين من جهة يمينه وجهة شماله وهو يجامع كون أرواح كل فريق فى مستقرها من الجنة والنار .. فقد رأى النبى ﷺ الجنة والنار فى صلاة الكسوف وهو فى الأرض ، والجنة ليست فيها .. ورآهما وهو فى السماء والنار ليست فيها . وفى حديث لأبى هريرة فى الإسراء ما يؤيد ما قلنا .

تقسيم الإمام النسفى للأرواح :

والنسفى فى بحر الكلام جعل الأرواح على أربعة أقسام :

١ ــ أرواح الأنبياء عليهم السلام ، تخرج من جسدها ، ويصير مثل صورتها مثل المسك والكافور وتكون فى الجنة ، تأكل وتشرب وتتنعَّم ، وتأوى بالليل إلى قناديل معلقة تحت العرش .

٢ ــ وأرواح الشهداء تخرج من جسدها وتكون فى أجواف طير خضر فى الجنة ، تأكل وتتنعَّم وتأوى إلى قناديل كأرواح الأنبياء عليهم السلام .

٣ ــ وأوراح المطيعين من المؤمنين بربض الجنة لاتأكل ولاتتمتع ولكن تنظر إلى الجنة .. وأرواح العصاة منهم تكون بين السماء والأرض فى الهواء .

٤ ــ وأما أرواح الكفار ففى سجين ، فى جوف طير سود تحت الأرض السابعة وهى متصلة بأجسادها ، فتعذب الأرواح وتتألم من ذلك الأجساد . أهـ .

وما ذكره فى أرواح المطيعين مخالف لما صحَّ من أنها تتمتع فى الجنة .

وفى الإفصاح أن المنعَّم من الأرواح على جهات مختلفة ، منها ما هو

طائر فى شجر الجنة ، ومنها ماهو فى حواصل طير خضر ، ومنها ما يأوى إلى قناديل تحت العرش ، ومنها ماهو فى حواصل طير بيض ، ومنها ماهو فى حواصل طير كالزرازير ، ومنها ماهو فى أشخاص صور من صور الجنة، ومنها ماهو فى صورة تخلق من ثواب أعمالهم ، ومنها ما تسرح وتتردد إلى جثتها وتزورها ، ومنها ما تتلقى أرواح المقبوضين ، وممن سوى ذلك ماهو فى كفالة ميكائيل عليه السلام ، ومنها ماهو فى كفالة آدم عليه السلام ، ومنها ماهو فى كفالة إبراهيم عليه السلام . أهـ .

قال القرطبى : وهذا قول حسن يجمع الأخبار حتى لا تتدافع ، وارتضاه الجلال السيوطى .

وأخرج ابن أبى الدنيا عن مالك قال : بلغنى أن الروح مرسلة تذهب حيث شاءت .. وهو إن صح ليس على إطلاقه .

وقيل فى مستقر الأرواح غير ذلك ، حتى زعم بعضهم أن مستقرها العدم المحض ، وهو مبنى على أنها من الأعراض .. وهى الحياة .. وهو قول باطل عاطل فاسد كاسد ، يرده الكتاب والسُنّة والإجماع والعقل السليم .

قول العارف ابن برجان :

ويعجبنى فى هذا الفصل ما ذكره العارف ابن برجان فى شرح أسماء الله الحسنى حيث قال :

والنفس مبراه من باطن ما خلق منه الجسم ، وهى روح الجسم ، وأوجد تبارك وتعالى الروح من باطن مابرأ منه النفس ، وهو للنفس بمنزلة النفس للجسم ، والنفس حجابه ، والروح يوصف بالحياة

بإحياء الله تعالى شأنه له ، وموته خمود إلى ماشاء الله تعالى يوم خمود الأرواح ، والجسم يوصف بالموت حتى يحيى بالروح ، وموته مفارقة الروح إياه ، وإذا فارق هذا العبد الروحانى الجسم صعد به ، فإن كان مؤمناً فتحت له أبواب السماء حتى يصعد إلى ربه عز وجل ، فيؤمر بالسجود فيسجد ، ثم يجعل حقيقته النفسانية تعمر السفل من قبره إلى حيث شاء الله تعالى من الجو ، وحقيقته الروحانية تعمر العلو من السماء الدنيا إلى السابعة فى سرور ونعيم ، ولذلك لقى رسول الله ﷺ موسى عليه السلام قائماً فى قبره يصلى وإبراهيم عليه السلام تحت الشجرة قبل صعوده إلى السماء الدنيا ولقيهما فى السموات العلى ، فتلك أرواحهما وهذه نفوسهما وإجسادهما فى قبورهما .. وإن كان شقياً لم يفتح له فرمى من علو إلى الأرض . أهـ .

وفيه القول بالمغايرة بين الروح والنفس ، وبهذا التحقيق تندفع معارضات كثيرة واعتراضات وفيرة .

ويعلم أن حديث : « **مامن أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه فى الدنيا فسلّم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام** »[1] ليس نصاً فى أن الروح على القبر ، إذ يُفهم منه أن الذى فى القبر حقيقته النفسانية المتصلة بالروح إتصالاً لا يعلم كنهه إلا الله تعالى .

وللروح مع ذلك أحوالاً وأطواراً لا يعلمها إلا الله تعالى .. فقد تكون مستغرقة بمشاهد جمال الله تعالى وجلاله سبحانه ونحو ذلك .. وقد تصحو عن ذلك الاستغراق وهو المراد برد الروح فى خبر « **مامن أحد يُسلِّم علىَّ إلا ردَّ الله تعالى روحى فأرد عليه السلام** »[2] .

---

(١) ذكره ابن القيم فى كتابه « الروح » وعزاه إلى ابن عبدالبر من حديث ابن عباس .

(٢) رواه أبوداود فى سننه ، كتاب « المناسك » .

والذى ينبغى أن يقول عليه مع ماذكر أن الأرواح وإن اختلف مستقرها ، بمعنى محلها الذى أعطيته بفضل الله تعالى جزاء عملها ولكن لها جولانا فى مُلك الله تعالى حيث شاء جل جلاله ، ولا يكون إلا بعد الإذن ، وهى متفاوته فى ذلك حسب تفاوتها فى القرب والزلفى من الله تعالى ، حتى أن بعض الأرواح الطاهرة لتظهر فيراها من شاء الله تعالى من الأحياء يقظة ، وأن أرواح الموتى تتلاقى وتتزاور وتتذاكر ..

وقد تتلاقى أرواح الأموات والأحياء مناماً ، ولا ينكر ذلك إلا من يجعل الرؤيا خيالات لا أصل لها ، وذلك لا يلتفت إليه .. لكن لا ينبغى أن ينى على ذلك حكم شرعى لاحتمال عدم الصحة وإن قامت قرينة عليها .

وما صح من أن ثابت بن قيس بن شماس خرج مع خالد بن الوليد إلى حرب مسيلمة فاستشهد رضى الله تعالى عنه ، وكان عليه درع نفيسة ، فمرَّ به رجل من المسلمين ، فأخذها ، فبينا رجل من الجند نائم إذ أتاه ثابت فى منامه فقال له : أوصيك بوصية ، فإياك أن تقول هذا حلم فتضيِّعه ، إنِّى لما قُتلت أمس مرَّ بى رجل من المسلمين ، فأخذ درعى ، ومنزله فى أقصى الناس ، وعند خبائه فرس يستمد فى طوله ، وقد كفى على الدرع برمة ، وفوق البرمة رحل ، فأت خالداً فمره أن يبعث إلى درعى فيأخذها ، وإذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله ﷺ فقل له : إن علىَّ من الدَّيْن كذا وكذا ، وفلان من رقيقى عتيق .. فأتى الرجل خالداً فأخبره ، فبعث إلى الدرع وأتى بها ، وحدَّث أبا بكر رضى الله عنه برؤياه فأجاز وصيته .

وأصل قصة ثابت بن قيس كما ذكرها ابن القيم فى كتابه هو :

قال أبو عمر : أخبرنا عبد الوارث بن سفيان ، ثنا قاسم بن أصبغ ، ثنا أبو الزنباع روح بن الفرج ، ثنا سعيد بن عفير وعبد العزيز ابن يحيى المدنى ، ثنا مالك بن أنس عن ابن شهاب عن إسمعيل بن محمد بن ثابت الأنصارى عن ثابت بن قيس بن شماس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال له : « يا ثابت أما ترضى أن تعيش حميداً وتقتل شهيداً وتدخل الجنة ؟ » قال مالك : فقتل ثابت بن قيس يوم اليمامة شهيداً .

قال أبو عمرو : روى هشام بن عمار عن صدقة بن خالد ، ثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال : حدثنا عطاء الخراسانى ، حدثنى ابنة ثابت بن قيس بن شماس قالت : « لما نزلت ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أصواتكم فَوقَ صَوْتِ النَّبِي ﴾ [الحجرات : ٢] دخل أبوها بيته وأغلق عليه بابه ففقده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأرسل إليه يسأله ما خبره ؟ قال : أنا رجل شديد الصوت أخاف أن يكون قد حبط عملى ، قال : لست منهم ، بل تعيش بخير وتموت بخير ، قال ثم أنزل الله ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [الحديد : ٢٣] فأغلق عليه بابه وطفق يبكى ففقده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأرسل إليه فأخبره ، فقال : يا رسول الله إنى أحب الجمال وأحب أن أسود قومى ، فقال : « لست منهم بل تعيش حميداً وتقتل شهيداً وتدخل الجنة » .

قالت : فلما كان يوم اليمامة خرج مع خالد بن الوليد إلى مسيلمة فلما التقوا أو انكشفوا قال ثابت وسالم مولى أبى حذيفة : ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم حفر كل واحد له حفرة فثبتا وقاتلا حتى قتلا ، وعلى ثابت يومئذ درع له نفيسة وذكر بقية القصة .

وقد ذكر ذلك ابن عبد البر وغيره وأجاب عنه بأن ذلك كان بإجازة الوارث وهى بنته لغلبة ظن صدق الرؤيا بما قام من القرينة ، ولو لم تجز لم يسغ لأبى بكر رضى الله تعالى عنه ذلك بمجرد الرؤيا .

وقيل : إن أبا بكر لم يرد الرد ففعل ذلك من حصة بيت المال .

ومثل هذه القصة قصة صعب بن جثامة وعوف بن مالك ، وقد ذكرها ابن القيم في كتاب (الروح) وهى أغرب مما ذُكر بكثير .

صح عن حماد بن سلمة ، عن ثابت عن شهر بن حوشب أن الصعب بن جثامة وعوف بن مالك كانا متؤاخيين قال صعب لعوف : أى أخى أينا مات قبل صاحبه فليتراياً له . قال : أو يكون ذلك ؟ قال : نعم . فمات صعب فرآه عوف فيما يرى النائم كأنه قد أتاه قال : قلت أى أخى . قال : نعم . قلت : ما فعل بكم ؟ قال : غفر لنا بعد المصائب . قال : ورأيت لمعة سوداء فى عنقه . قلت : أى أخى ما هذا ؟ قال عشرة دنانير استسلفتها من فلان اليهودى فهن فى قرنى فاعطوه إياها ، واعلم أى أخى أنه لم يحدث فى أهلى حدث بعد موتى إلا قد لحق بى خبره حتى هرة لنا ماتت منذ أيام . واعلم أن بنتى تموت إلى ستة أيام فاستوصوا بها معروفاً . فلما أصبحت قلت إن فى هذا لمعلما فأتيت أهله فقالوا : مرحباً بعوف أهكذا تصنعون بتركة إخوانكم ؟ لم تقربنا منذ مات صعب ، قال : فاعتللت بما يعتل به الناس فنظرت إلى القرن فأنزلته فانتشلت ما فيه ، فوجدت الصرة التى فيها الدنانير فبعثت بها إلى اليهودى فقلت : هل كان لك على صعب شئ ؟ قال : رحم الله صعباً كان من خيار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هى له قلت : لتخبرنى . قال : نعم أسلفته عشرة دنانير فنبذتها إليه ، قال : هى والله بأعيانها قال قلت : هذه واحدة قال فقلت : هل حدث فيكم حدث بعد موت صعب ؟ قالوا : نعم

حدث فينا كذا ، حدث فينا كذا قال : قلت اذكروا . قالوا : نعم هرة ماتت منذ أيام فقلت هاتان اثنتان قلت : أين ابنة أخى ؟ قالوا : تلعب فأتيت بها فمسستها فإذا هى محمومة فقلت استوصوا بها معروفاً مضت ستة أيام .

وربما يؤذن لأرواح بعض الناس فى زيارة أهليهم كما ورد فى بعض الآثار ، وبعض الأرواح تحبس فى قبرها أو حيث شاء الله تعالى عن مقامها كروح من يموت وعليه ديْن استدانه فى محرم لا مطلقاً كما هو المشهور .. وتحقيقه فى شرح الشمائل للعلامة ابن حجر .

ثم اعلم أن اتصال الروح بالبدن لا يختص بجزء دون جزء ، بل هى متصلة مشرقة على سائر أجزائه وإن تفرقت وكان جزء بالمشرق وجزء بالمغرب .. ولعل هذا الإشراق على الأجزاء الأصلية لأنها التى يقوم بها الإنسان من قبره يوم القيامة على ما اختاره جمع .

واعلم أيضاً أن الروح على القول بتجردها لا مستقر لها ، بل لا يُقال إنها داخل العالم أو خارجه كما سمعت ، وإنما المستقر حينئذ للبدن الذى تتعلق به .

وقد نص بعض الصوفية على أنه لا مانع من أن تتعلق نفس ببدنين فأكثر ، بل هو واقع عندهم .. وذكر بعضهم أن أحد البدنين هو البدن الأصلى والآخر مثالى يظهر للعيان على وجه خرق العادة .. وقال آخر : إن الآخر من باب تطور الروح وظهورها بصورة على نحو ظهور جبريل عليه السلام بصورة دحية الكلبى ، وظهور القرآن لحافظه بصورة الرجل الشاحب يوم القيامة .

والفلاسفة قالوا : لا يجوز أن تتعلق نفس واحدة بأبدان كثيرة ،

لأنه يلزم أن يكون معلوم أحدها معلوم الآخر ، ومجهول أحدها مجهول الآخر ، ومعلوم أن الأمر ليس كذلك .. ولا يخفى أن هذا الدليل يدل على أن كل إنسانين يعلم أحدهما مالا يعلم الآخر فإن نفسهما متغايرتان ، فلم لا يجوز وجود إنسانين يتعلق ببدنيهما نفس واحدة ويكون كل ما علمه أحدهما علمه الآخر لا محالة ، وما يجهله أحدهما يكون مجهولاً للآخر لابد لعدم الجواز من دليل .

وعلى ما ذكره هؤلاء الصوفية يجوز أن تتعلق الروح ببدن فى الجنة وببدن آخر حيث شاء الله تعالى ، بل يجوز أن تظهر فى صور شتى فى أماكن متعدِّدة على حد ما قالوه فى جبريل عليه السلام أنه فى حال ظهوره فى صورة دحية أو أعرابى غيره بين يدى النبى ﷺ لم يفارق سدرة المنتهى .. وأنت تعلم ما يقولون فى تجلِّى الله تعالى فى الصور ، وسمعت خبر : « **إن الله تعالى خلق آدم على صورته** »[1] .. ومن هنا قالوا : من عرف نفسه فقد عرف ربه ، فافهم الإشارة ، ولعمرى هى عبارة .

مستقر أرواح الحيوانات .

ثم إن أرواح سائر الحيوانات من البهائم ونحوها قيل :

تكون بعد المفارقة فى الهواء ولا اتصال لها بالأبدان .

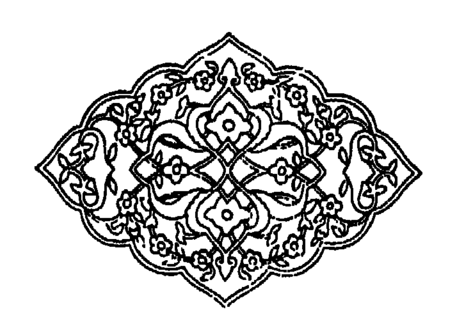
وقيل : تعدم ولا يعجز على الله شىء .

ومن الناس من قال : إن كان للحيوانات حشر يوم القيامة كما هو

(١) رواه البخارى فى صحيحه كتاب « الاستئذان » ومسلم فى صحيحه كتاب « البر » حديث رقم ١١٥ .

المشهور الذى تقتضيه ظواهر الآيات والأخبار ، فالأولى أن يُقال ببقاء أرواحها فى الهواء ، أو حيث شاء الله تعالى .. وإن لم يكن لها حشر — كما ذهب إليه الغزالى —

هذا ، وبقيت أبحاث كثيرة تركناها لضيق القفص واتساع دائرة الغصص ، ولعل فيما ذكرناه هنا مع ما ذكرناه فيما قبل كفاية لأهل البداية وهداية لمن ساعدته العناية .. والله عز وجل ولى الكرم والجود ، ومنه سبحانه بدء كل شئ وإليه جل وعلا يعود .



تعليق
للأستاذ الكبير
عباس محمود العقاد
من كتاب الفلسفة القرآنية
مسألة الروح

مسـألـة الــروح

﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾

مسألةالروح أعضل مسائل العلم والفلسفة ومذاهب التفكير على التعميم منذ فكر الإنسان فى حقائق الأشياء ، بين جميع أصحاب النِحَل والآراء ، فى جميع العصور .

وسواء فهمنا من الروح أنها جوهر مجرد تقوم به حياة الأجساد ، أو فهمنا كما يفهم الماديون أنها ظاهرة الحياة فى تركيبة من تراكيب المادة ، فلا يزال العلم بحقيقتها قليلاً أو أقل من القليل .

لأن الماديين الذين يعتبرونها قوة من قوى المادة لم يخرجوا بها عن تسجيل الحس كما يرونه ، ولم يستطيعوا قط تعليل الفارق بين الخلية المادية والخلية الحية بعلة من العلل المادية نفسها فضلاً عن العلل التى تتجاوز المادة إلى ما وراءها . ولم ينكروا أن الفارق عظيم ، وأنه أبعد فارق بين شيئين من هذه الأشياء التى تقع فى الكون المحسوس أو الكون المعقول ..

فمن معجزات القرآن أنه وضعها هذا الموضع الصحيح من الفلسفة والعلم ، وجعلها أعضل المعضلات التى يتساءل عنها الناس بغير استثناء .

ويزيد فى تقدير هذه المعجزة أن القرآن لم يستكثر على الفكر الإنسانى أن يخوض فى المسألة الإلهية ، وأن يصل إلى الإيمان بالله من طريق البحث والاستدلال والنظر فى آيات الخلق وعجائب الطبيعة .

فالعقل يهتدى إلى وجود الله من النظر فى وجود الأشياء ووجود الأحياء .. ولكنه لا يهتدى إلى حقيقة الروح من هذا الطريق ، ولا يذهب فيها مذهباً أبعد ولا أعمق من الإحالة إلى مصدر الموجودات جميعاً ، وهى إرادة الله ، أو أمر الله .

وقد عجب بعض المفسرين لذلك ، وراحوا يتساءلون : أتكون مسألة الروح أكبر من المسألة الإلهية وهى غاية الغايات فى سبح العقول ؟

ولكنهم فى الواقع يرجعون بالعجب إلى غير مرجعه الأصيل ، لأن المعضلة الفكرية لا تبلغ مبلغ الإعضال بمقدار عظمتها واتساعها بل بمقدار دقتها وخفائها .. وقد تكون عوارض الشمس أوضح فى رأى العلماء من عوارض الذرة الخفية ، وبينهما من التفاوت فى القدر ذلك الأمد البعيد ..

وقد أجمل الإمام الرازى أسباب هذا الإعضال فى مسألة الروح فقال : « .. إنهم سألوا عن الروح وأنه ﷺ أجاب عنه على أحسن الوجوه . وبيانه أن المذكور فى الآية أنهم سألوه عن الروح والسؤال يقع على وجوه :

أحدهما : أن يقال ما ماهيته ؟ هل هو متحيز أو حالّ فى المتحيز أو موجود غير متحيز ولا حالّ فيه ؟ .

وثانيهما : أن يقال أهو قديم أو حادث ؟

وثالثها : أن يقال هل هو يبقى بعد فناء الأجسام أو يفنى ؟

ورابعها : أن يقال ما حقيقة سعادة الأرواح وشقاوتها ؟

وبالجملة فالمباحث المتعلقة بالروح كثيرة ، وليست فى الآية دلالة

على أنهم عن أى هذه المسائل سألوا ، إلا أنه تعالى ذكر فى الجواب : ﴿ **قل الروح من أمر ربى** ﴾ ، وهذا الجواب لا يليق إلا بمسألتين : **إحداهما** : السؤال عن الماهية أهو عبارة عن أجسام موجودة فى داخل البدن متولدة عن امتزاج الطبائع والأخلاط ؟ أو عبارة عن نفس هذا المزاج والتركيب ، أو عن عرض آخر قائم بهذه الأجسام ، أو عن موجود يغاير هذه الأشياء ؟ فأجاب الله تعالى بأنه موجود مغاير لهذه الأشياء ، بل هو جوهر بسيط مجرد لا يحدث إلا بمحدث قوله : كن فيكون . فهو موجود يحدث من أمر الله وتكوينه وتأثيره فى إفادة الحياة للجسد ، ولا يلزم من عدم العلم بحقيقته المخصوصة نفيه مطلقاً وهو المقصود من قوله : ﴿ **وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً** ﴾ .

وثانيتهما : السؤال عن قدمها وحدوثها ، فإن لفظ الأمر قد جاء بمعنى الفعل كقوله تعالى : ﴿ **وما أمر فرعون برشيد** ﴾ . فقوله من أمر ربى معناه من فعل ربى ، فهذا الجواب يدل على أنهم سألوه عن قدمه وحدوثه فقال : بلى هو حادث . وإنما حصل بفعل الله وتكوينه ثم احتج على حدوثه بقوله : ﴿ **وما أوتيتم من العلم إلا قليلا** ﴾ . يعنى أن الأرواح فى مبدأ الفطرة خالية من العلوم كلها . ثم تحصل فيها المعارف والعلوم ، فهى لاتزال متغيرة من حال إلى حال ، والتغير من أمارات الحدوث » .

وتلخيص الإمام الرازى للمعضلة شامل لجوانبها المتعددة ، كما بدت للمفكرين من الفلاسفة الأقدمين وبخاصة علماء الكلام .

فروض الأقدمين وفروض المحدثين :

ولا نظن أن المحدثين جاءوا بفرض من الفروض فى تفسير الروح لم يسبقهم إليه الأقدمون ، مع ملاحظة الفارق فى بحوث علم الحياة ووظائف الأعضاء بين علماء اليوم وعلماء الزمن القديم .

فمن المفكرين الأقدمين من قال : إن الروح أجسام لطيفة سارية فى البدن سريان ماء الورد فى الورد ، باقية من أول العمر إلى آخره لا يتطرق إليه تخلل ولا تبدل ، حتى إذا قطع عضو من البدن انقبض مافيه من تلك الأجزاء إلى سائر الأعضاء .

ومنهم من قال : إنه جزء لا يتجزأ فى القلب ، أو قال : إنه جسم هوائى فى القلب ، أو قال : إنه جسم هوائى فى الدماغ ، أو قال : إنه قوة فى الدماغ وهو مبدأ الحس والحركة ، أو قال : إنه أجزاء نارية وهى المسماة بالحرارة الغريزية ، أو قال : إنه الدم المعتدل تقوى الحياة باعتداله وتفنى بفنائه ، أو قال : إنه جسم بخارى يتكون من لطافة الأخلاط وبخاريتها كتكون الأخلاط من كثافتها ، وهو الحامل للقوى الثلاث : وهى قوة الروح الحيوانى ، وقوة الروح النفسانى ، وقوة الروح الطبيعى .

ومنهم من قال : بأن الروح جوهر مجرد يتفاوت فى التجرد والصفاء ، فهو فى العارفين الخالصين أصفى منه فى غيرهم من ذوى الأرواح ..

ومنهم من قال غير ذلك ، ولم يخرج عن فحوى فرض من تلك الفروض ، كما أحصاها صاحب كشاف اصطلاحات الفنون فى مادة الروح .

موقف المفكرين المحدثين :

أما المفكرون المحدثون ، فهم فى الجملة بين قولين : قول بنشوء الحياة من جوهر مجرد ، وقول بنشوئها من استعداد فى المادة يظهر مع التطور والتركيب ..

لا خلاف بين القائلين بالجوهر المجرد قدامى ومحدثين :

وليس بين القائلين بالجوهر المجرد من الأقدمين والمحدثين اختلاف كبير فى غير أسلوب التعبير ..

فالمحدثون يقولون : إن الجسم لا ينشئ الحياة ولا طاقة للمادة بتوليد القوة الحيوية ، ولكنها إذا بلغت مبلغاً معلوماً من الاستعداد صلحت لحلول الروح فيها وتهيأت لخدمتها .. مثلها فى ذلك مثل الجهاز الذى يصلح بالتركيب لقبول الكهرباء ، فإن أجزاءه المتفرقة لا تتحرك ولا تقبل العمل الكهربائى إذا بقيت على تفرقها ، أو اجتمعت على نحو غير النحو الصالح لاستقبال التيار وتلبية حركاته . وكذلك الأعضاء الجسدية لا تخلق الحياة ، ولكنها تصلح لاستقبالها وتلبية حركاتها متى تم تركيبها على النحو المعروف .

والأقدمون يقولون بمثل ذلك ، ولكنهم يعبرون عنه بأسلوبهم المنطقى الذى يستخدمونه للتمييز بين الصور والأجسام .. فالروح عندهم « كمال أول لجسم طبيعى آلى » .

والكمال عندهم هو الذى تتحقق به ماهية الشئ .. وهو قسمان : قسم يصدر منه الفعل وهو الكمال الأول ، وقسم هو الفعل نفسه وهو الكمال الثانى .

والانسان جسم آلى لا تتحقق له الانسانية إلا بحلول الروح فيه ، فلا تتحقق له الانسانية بمجرد وجود الأعضاء فيه بل باستقبال هذه الأعضاء لمصدر فعلها وحركتها ، وهو الروح .. فالروح إذن هى الكمال الأول لتركيب جسم الانسان .

دليل الأقدمين على أن الروح جوهر مجرد :

ودليل الأقدمين على أن الروح جوهر مجرد يلخصه الشهرستانى فى كتاب نهاية الإقدام فى علم الكلام إذ يقول : « إن العلم المجرد الكلى لا يجوز أن يحل فى جسم ، وكل ما لا يجوز أن يحل فى جسم فإذا حل ففى غير جسم ، فالعلم المجرد الكلى إذا حل حل فى غير جسم » ويؤيد ذلك أنه غير قابل للانقسام .

ويوشك الأقدمون والمحدثون أن يتلاقوا فى توضيح المشكلة التى تنجم عن القول بتجرد الروح ثم القول بتأثيرها فى الأجسام ..

فالأقدمون : يجعلون الجواهر المجردة درجات فى التلبس بالمادة وقابلية الاشتراك معها فى عملها ، فلا يؤثر الجوهر المجرد فى المادة مباشرة بل يؤثر فيها بواسطة جوهر يقاربه من جهة ويقارب المادة من جهة أخرى .

والمحدثون : يقيمون هذه القنطرة بين العالمين ـــ عالم الروح وعالم المادة ـــ بفروض كثيرة .. منها أن الغدة الصنوبرية فى الدماغ هى ملتقى الروح بالجسد ، ومنها أن يرتفعوا بالمادة الجسدية إلى غايتها من الصفاء لكى تتقبل الأثر من عالم الروح ، ومنها أن يزيلوا العجب من تأثير الأرواح فى الأجسام بقوله : إن تأثير الروح فى الجسد ليس بأعجب من هذه المؤثرات التى نراها تقع من الأجسام . فلا داعى للجزم بامتناع أثر الجوهر المجرد فى صور المادة على اختلافها بين الجوامد والأحياء .

وكل فرض من هذه الفروض لا يزعم صاحبه أنه قال فى معضلة الروح قولاً يغنيه عن التمثل فى هذه المعضلة بالآية القرآنية الكريمة :
﴿ **قل الروح من أمر ربى . وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً** ﴾ .

موقف الماديين :

والماديون الذين يقولون بنشأة الحياة من المادة لا يُنيبون — بطبيعة الحال — إلى علم الله فى معضلة من المعضلات . ولكنهم يُنيبون على الرغم منهم إلى رأى فى تعليل الحياة هو أعجز وأبلغ فى التسليم من إنابة المؤمنين ، لأن قصارى ما ذهبوا إليه أن الحياة حصلت لأنها حصلت ، أو لأنها قابلة للحصول .

فهم يعترفون بالفارق البعيد بين الذرة المادية والخلية الحية ، ولكنهم يقولون : إن الخلية الحية قد تترقى بالتطور والتركيب المتلاحق إلى اكتساب خصائص الحياة .

ويمثلون لذلك بالعناصر التى تتركب فتظهر فيها بعد التركيب خصائص لم تكن لعنصر من عناصرها على انفراد .

وهكذا يترقى التركيب بالمادة إلى مرتبة النبات فالحيوان فالإنسان العاقل ، فما فوق الإنسان مع تطاول الزمان .

ولكنهم لا يذكرون دليلاً واحداً على حدوث الحياة من مثل هذا التركيب .. ولا يذكرون سبباً مادياً معقولاً لالتزام المادة سلم الارتقاء طبقة فوق طبقة منذ الأزل الذى لا يعرف له ابتداء ؟ ولا يذكرون سبباً مادياً واحداً يوجب أن تنفرد بعض الذرات المادية بهذا التطور دون بعضها ، وهى سواء فى الكنه والحركة وقوانين الوجود ، ولا يشعرون بقصور هذا الفرض عن تفسير الخصائص التى تتوزع بين ألوف الخلايا التى تتولد منها الأنواع الحية ، وفى كل خلية منها قدرة على التجدد والتعويض ونقل طبائع النوع كله ، وهى فى دقتها أخفى من أن تتراءى الألوف منها للعين بغير منظار .

فإن الناسلات التى تنشئ النوع الإنسانى كله يمكن أن تجمع فى

قمع صغير من أقماع الخياطة ، وفى هذا القمع الصغير تكمن جميع الخصائص التى يختلف بها ملايين البشر فى الأفكار والعادات والأعضاء والألوان . وتكمن جميع الموروثات التى تلقاها سكان الكرة الأرضية عن آبائهم وأجدادهم منذ مئات الألوف من السنين . وجميع الموروثات التى يخلفونها لأعقابهم إلى مئات ألوف أخرى بغير انتهاء .

فإذا كانت الحياة معانى تقوم على الوعى الذى لا يوجد فى المادة ويكفيها مثل هذا الحيز من الامتداد وهو أقرب إلى المعقولات منه إلى المحسوسات ــ فماذ أبطل الماديون من القول بقوة الروح المعنوية ؟ أو ماذا أبطلوا من القول بتوسط هذه المعانى بين الوجود المجرد والوجود المحسوس ؟

إذا كانت الحياة لا توجد فى كل مادة ، وكانت المادة الخاصة التى توجد فيها تتلقاها معانى لا يحصرها الحس ، وتأخذ منها كل هذه الأجسام التى تملأ فضاء الكرة الأرضية ، فهل هذا هو تفسير السر المغلق أو هذا هو السر المغلق الذى يدق عن العقول ؟

وأى أجسام بل أى آكام من الأجسام ؟ أهى أجسام وكفى تتساوى فى جميع الأشكال والأحجام ؟

كلا .. بل هى أجسام تختلف كل ذرة منها عن كل ذرة ، ولا تنوب واحدة منها عن الأخرى أو تختلط شخصية منها بشخصية سواها . فأين يبتدئ التلغيز والتخمين إذا كان هذا نهاية التفسير والتبيين ؟

وإذا كان الماديون قد بلغوا بتجريد قوة الحياة أقصى ما يستطيعه المادى من صفات التجريد ، فإن القول بالتجريد المطلق لا يقطع الكلام فى مسألة الروح ، ولا يتركه بغير بقية طويلة تستتبع الأسئلة ·

الكثيرة بغير جواب ..

فهل الجوهر المجرد البسيط يقبل الفناء ؟ وهل كان معدوماً قبل أن يوجد ؟

إن فريقاً من الفلاسفة يقول : إن الجوهر البسيط لا يتغير ولا يفنى ، لأن الانحلال إنما يأتى من جهة التركيب وليس فى الجوهر البسيط شئ مركب .. وما ليس بقابل للفناء غير قابل للإيجاد بعد عدم ، وليس له ابتداء ولا إنتهاء ..

وبعض المتدينين يقول بقدم العالم كله لأنه لا يخلق فى زمان ، والجواهر البسيطة من باب أولى قديمة على هذا الاعتبار .. وقد يستشهد هؤلاء على قِدَم الروح بأنها من روح الله : ﴿ **ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم الذى أحسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين . ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين . ثم سواه ونفخ فيه من روحه . وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ماتشكرون**﴾[1]. فالروح من روح الله وهو أزلى أبدى بلا أول ولا آخر ولا زمان ولا مكان ..

ومنهم من يقول بحدوث الروح ويعنى بذلك أنها غير قديمة ، وينكر قدَم العالم على الإجمال .

أسئلة ترد على الخـاطر :

وهنا يرد على الخاطر سؤال عن تساوى الأرواح فى القِدَم أو تساويها فى الحدوث ..

فهل وجدت أرواح الآباء والأبناء والأحفاد فى وقت واحد ؟ أو

---

(١) سورة السجدة : آية ٦ — ٩

وجدت على تفاوت فى الترتيب ؟ وهل تنقطع صلة الأبوة بين الأرواح ، أو هناك أرواح توصف بالأبوة ، وأرواح توصف بالبنوة على النحو الذى نشهده فى الحياة ؟ وما الفارق بين أرواح الآباء والأمهات وأرواح الذكور والإناث ؟

ويرد على الخاطر سؤال آخر عن علاقة الروح بالجسد بعد دخوله والامتزاج بأعضائه : هل تأتى بالمعرفة معها سن عالم الأرواح ، أو هى تتلقى المعرفة من ملابسة الأعضاء وحس الحواس التى تتألف من البصر والسمع واللمس والشم والذوق وما إليها ؟ وهل تحمل معرفتها معها بعد فراق الجسد أو تتركها وراءها بعد انقطاع الصلة بينها وبين الإحساس بالحواس ؟

ويرد على الخاطر سؤال غير هذين السؤالين فى مسألة الثواب والعقاب ، فهل تخلص الروح من الجسد كما دخلته مبرأة من الذنوب ؟ وهل يلصق شئ من الجسد بشئ من الروح ؟ وإذا كانت قبل نزولها فيه وخروجها منه خالصة من تلك الذنوب فكيف يكون العقاب ؟ أو كيف تعاقب الأجساد بمعزل عن الأرواح ؟ أو كيف تعاقب الأرواح بمعزل عن الأجساد ؟

والذين قالوا بدخول الروح فى الأجساد أكثر من مرة يسألون : لماذا ينسى الروح حياته الأولى فى الجسد القديم بعد دخوله فى الجسد الجديد ؟ وهل يعود إلى التذكر بعد التجرد من الحياة الجسدية ؟ أو هو فى كل مرة يرجع إلى ما كان عليه قبل الحياة الجسدية كأنه لم يتلبس قط بالأجساد ! .. وماذا تفيد الروح من تكرر الحياة إذا كانت تبقى بعد موت كل جسد كما كانت قبل حياتها فيه ؟

هل الروح والنفس والعقل شئ واحد ؟!

ولا يقل عن هذه الأسئلة فى الإعضال سؤال السائلين : هل الروح والنفس والعقل شىء واحد ، أو هى أشياء مختلفات ؟ وهل هى فردية أو عامة فى جميع الأحياء العاقلة ؟

فمنهم من يقول : إن العقل والروح والجسد كلها هى قوام العنصر المجرد فى الإنسان ، وأن ما عداها عنصر جسدى قابل للانحلال ..

ومنهم من يقول .أن العقل وحده هو العنصر المجرد ، وإن النفس درجات ، والروح فى أعلى هذه الدرجات .. ثم تنحدر درجات النفس فتلتقى بالجسد فى الحياة الحيوانية ، ولا يختلف شأنها فى هذه الحالة عن شأن الدم الذى تنبعث منه حركة الأعضاء ، أو شأن الأبخرة اللطيفة التى تتخلل تلك الأعضاء .

والقائلون بذلك يقولون : إن العقل عام فى جميع العقلاء ، وانه غير متوقف على الأفراد ؛ لأن أحكامه واحدة فى جميع العقول ، وقضاياه ثابتة فى جميع الأحوال ..

وذلك على خلاف النفس التى تختلف بأذواقها ومشتهياتها بين فرد وفرد ، وبين حال وحال ..

فالعقل إذن هو الخالد الباقى الذى لا يفنى بفناء أجساد الأحياء . أما النفس فشأنها شأن الجسد فى التميز والتحيز وقبول الفناء ..

موقف بعض الماديين :

ومن الماديين من يأتى وسطاً بين المجردين والمجسدين ، فعندهم أن وجود الروح لاحقٌ لوجود الجسد ، وأن الجسد إذا ترقى فى التركيب نشأت من تركيبه وحدة معنوية أو شخصية مستقلة صالحة للبقاء بمعزل عنه ، وكانت وجوداً جديداً لا ينعدم لأن الموجود لا يقبل

العدم .. ولا فرق فى ذلك بين وجود الكيفية ووجود الكم أو المقدار .

وأقرب ما يمثلون به لذلك وجود القصيدة فى قريحة الشاعر ، أو وجود اللحن الموسيقى فى قريحة الموسيقار ، أو وجود الفكرة فى قريحة الفيلسوف ..

فهذه الوحدات المعنوية من عمل الشاعر والموسيقار والفيلسوف ، ولكنها استقلت بوجود قابل للبقاء بعد زوال من خلقوها وانفردوا بخلقها بين أصحاب القرائح التى لا تحصى .

وتمثيلهم هذا تمثيل تقريب وليس بتمثيل تحقيق ، لأنهم يقصدون أن « الشخصية الروحية » التى يتمخض عنها تركيب الجسد أو تركيب الدماغ خاصة هى كيان قائم بذاته ، وليس بالكيان الذى يتوقف على غيره كقصيدة الشاعر ولحن الموسيقار وفكرة الفيلسوف .. وكل منها لا يقوم إلا بسامع أو معين .

أحاديث القائلين بتحضير الأرواح :

وإذا أردنا أن نشمل بالكلام فى الروح أحاديث القائلين بتحضير الأرواح ، فالأسئلة هنا تتوارد من أصحاب الدين كما تتوارد من أصحاب العلم وأصحاب الفلسفة .

فلك أن تسأل : هل السيطرة على الأرواح مسألة قُدْسية إلٰهية ، أو هى مسألة آلية صناعية ؟ ..

إن كانت قدسية إلٰهية فما هذه الآلات والأشعة والمصورات والمحركات ؟ وماهذا الارتباط بين تحضير الأرواح الحديث والمخترعات الحديثة ؟ وماهذه السيطرة على الأرواح بسلطان تلك الآلات

والمخترعات فى أيدى قوم لم تعرف عنهم قداسة ضمير أو رياضة نسك وصلاح ؟

وإن كانت آلية صناعية ، فأى تغليب للمادة على الروح أقوى من هذا التغليب الذى ينوط كشف الأرواح بتقدم الصناعات والمخترعات .. ويجعل عالم الروح كعالم المادة تابعاً لآلة تدار أو مخترع جديد لم يكن معروفاً قبل القرن العشرين ؟ وكيف تفسير أن عالم الروح كله لم يستطع بجهوده وبواعثه أن ينفذ إلى عالم المادة ؟ .. وأن عالم المادة استطاع ببعض الأجهزة أن ينفذ إلى عالم الروح ؟ .. وهل سعت الأرواح إلينا فعجزت فى مسعاها ؟ أو هى لم تسع قط ونحن الذين أرغمناها على الظهور لنا والتحدث إلينا ؟ .. وما معنى قدرتنا وعجزها فى هذه الجهود التى لا قوة لنا فيها لغير أدوات التحضير ؟

تعميم الروح فى القرآن وعلام يدل ؟

وإلى هنا خصصنا الروح بالمعنى الذى يقصد به قوام الحياة ـــ أو قوام الحياة والعقل ـــ فى الشخصية الإنسانية .

ولكن الروح عممت فى القرآن الكريم لغير هذا المعنى ، فسمى جبريل بالروح الأمين .. ونسبت إلى الله روح بمعنى الرحمة تارة ، وبمعنى القوة أو الحياة تارة ، وبمعنى العلم القدسى فى غير هذه المواضع : ﴿ **رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده** ﴾[1] .. ﴿ **وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا** ﴾[2] .

وبهذه المعانى كلها ترتفع الروح من الوجود المادى إلى الوجود المنزه عن المادة وخصائصها ، وقد تلحق بالوجود الإلـهى الذى

(١) غافر : آية ١٥ .

(٢) الشورى : آية ١٥٢ .

لا شبيه له فى الموجودات ..

ولكن الاصطلاح الذى لا يتعرض أصحابه للحصر والتحقيق يطلق الروح أحياناً على معنى الحياة فى كل ذى حياة فيقولون : « كل ذى روح » ويقصدون به عالم الحيوان ، ويجمعون بين الروح والنفس فى معنى واحد ، ثم يخلون النبات نفساً ويفرقون بينها وبين نفس الحيوان ونفس الإنسان ببعض الخصائص التى تجعل معنى الكائنات « النفسية » أحياناً بمعنى الكائنات العضوية فى اصطلاح العلم الحديث ..

والذين يطلقون الاصطلاح هذا الاطلاق ، فيهم المؤمنون بالدين ، وفيهم من تقدم الأديان الكتابية ، وفيهم من ظهر بعدها وأنكرها كما ينكرها الدهريون الذين قالوا إنها حياتنا الدنيا نموت فيها ونحيا ..

فصاحب الهدية السعيدية المولوى محمد فضل الماتريدى يلخص معانى النفس فيقول : «إن المركب الذى له مزاج وليس من المعدنيات يكون ذا نفس أرضية ، والنفس الأرضية إما نفس نباتية أو نفس حيوانية أو نفس ناطقة .. وعرفوا النفس النباتية بأنها كمال أول لجسم طبيعى آلى من حيث يتغذى وينمو » .

ثم يقول عن النفس الإنسانية : « إن النفس جوهر مجرد واحد ولها وجه إلى البدن ، ويجب أن يكون هذا الوجه غير قابل لأثر من جنس مقتضى طبيعة البدن ، ووجه إلى المبادىء العالية ويجب أن يكون دائم القبول عما هناك . والتأثير منه ــ فمن الجهة السفلية يتولد الأخلاق لأنها تؤثر فى البدن الموضوع لتصرفها مكملة إياه تأثيراً اختيارياً وتسمى قوة عملية وعقلا عملياً ، ومن الجهة الفوقانية يتولد العلوم لأنها تتأثر عما فوقها مستكملة فى جوهرها بحسب استعدادها ، وتسمى قوة نظرية وعقلا نظرياً . فالقوة النظرية من شأنها أن تنطبع

بالصور الكلية المجردة من المادة .. فإن كانت مجردة فلا يحتاج فى أخذها إلى تجريدها ، وإن لم تكن فتصير النفس مجردة بتجريدها حتى لا يبقى فيها من علائق المادة .. »

مواطن الاتفاق :

فإذا أغضينا عن فوارق الأسلوب ، ففى هذا الكلام مواطن اتفاق كثيرة بين الأقدمين والمحدثين ، وبين الفلاسفة والعلماء ، وبين أصحاب الدين وغيرهم من المفكرين ..

فجميع هؤلاء متفقون على التفرقة بين الجسد العضوى والجسد الذى لا تعضى فيه ..

وجميع هؤلاء متفقون على إلحاق النبات بعالم الحياة فى خصائصها التى تميزها من المادة على الإطلاق ..

وجميع هؤلاء متفقون على أن « النطق » أو « العقل » خاصة إنسانية تميز الإنسان من الحيوان ..

ولكنهم إذا جاءوا إلى الصفة التى تكسب الحى قدرة المعرفة ، وقع بينهم أكبر اختلاف يقع بين مختلفين ..

فتوزع القوى المدركة فى النفس على حسب الاتجاه العلوى أو السفلى كلام يسيغه بعض الفلاسفة وبعض المتكلمين ولا يسيغه الآخرون .

وتدرج القوة العاقلة من الحيوان إلى الإنسان كلام ينكره الدينيون ولا يتفق عليه علماء الطبيعة الذين يجعلون العقل من عنصر غير عنصر الغريزة أو البداهة الحيوانية .

وينتهون جميعاً إلى « علم قليل » فى هذا المبحث العويص الذى

لا يدانيه فى اعتياصه مبحث آخر من مباحث الطبيعة أو ما وراء الطبيعة ..

ولسنا نسرد هذه الخلافات لنقطع فيها بقول فصل لا خلاف عليه ، فليس إلى ذلك من سبيل ..

ولسنا كذلك نسردها لنعود فيها إلى تلخيص القول فى الخالق والمخلوقات ومكان الروح والحياة من تلك المخلوقات . فهذا بحث عرضنا له عند الكلام على وجود الله بما اتسع له المقام ..

ولكننا نسردها ونكتفى بمجرد سردها ، لأن مجرد السرد كاف لبيان إعجاز القرآن فى وضع هذه المعضلة موضعها الصحيح بين معضلات الفلسفة الكبرى فى جميع الأزمان ..

فالرجل الأمى الذى تعلم من البادية كلها غاية علمها ، أو تعلم من عصره كله غاية علمه ، لا يتأتى له أن يبسط أمامه مشكلات العقل فى حقائق القوة التى تقوم بها حياة الشخصية الإنسانية أو يقوم بها تفكيرها ، ثم يحيط بما فيها من العقد وما يرد عليها من الإشكال والاستدراك ، وما تنفرد به من المغلقات بين مسألة كالمسألة الإلٰهية أو مسألة كمسألة الوجود بجملته فى السر والعلانية ..

فإذا تتبع معضلة الروح إلى مداها ، وعلم غاية ما يتاح للإنسان أن يستقصيه من حقيقتها .. فما يعلم ذلك بوحى البادية ، أو بوحى القرن السادس أو السابع للميلاد ، وإنما يعلمه بوحى من الله ..

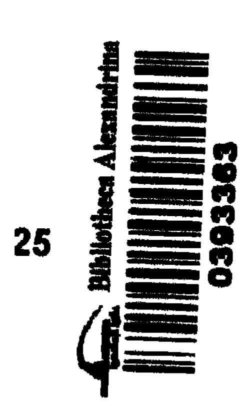
الموضوع	الصفحة

مع الإمام الآلوسى صاحب روح المعانى فى تفسير القرآن والسبع المثانى

رقم الايداع ٣١٦٧٤ / ٨٨



مكتبة القرآن
للطبع والنشر والتوزيع
٣ شارع القماش بالفرنساوى - بولاق
القاهرة - ت : ٧٦١٩٦٢ - ٧٦٨٥٩١



٢٠٠ قـرشا